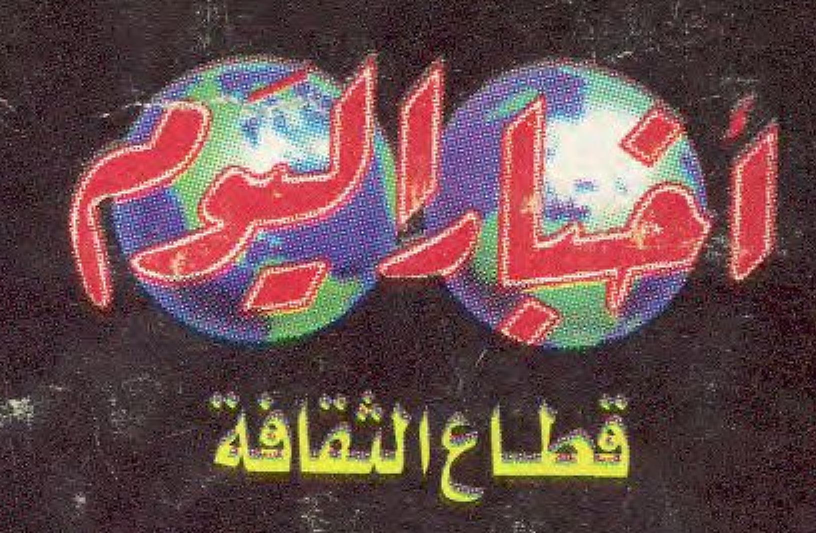
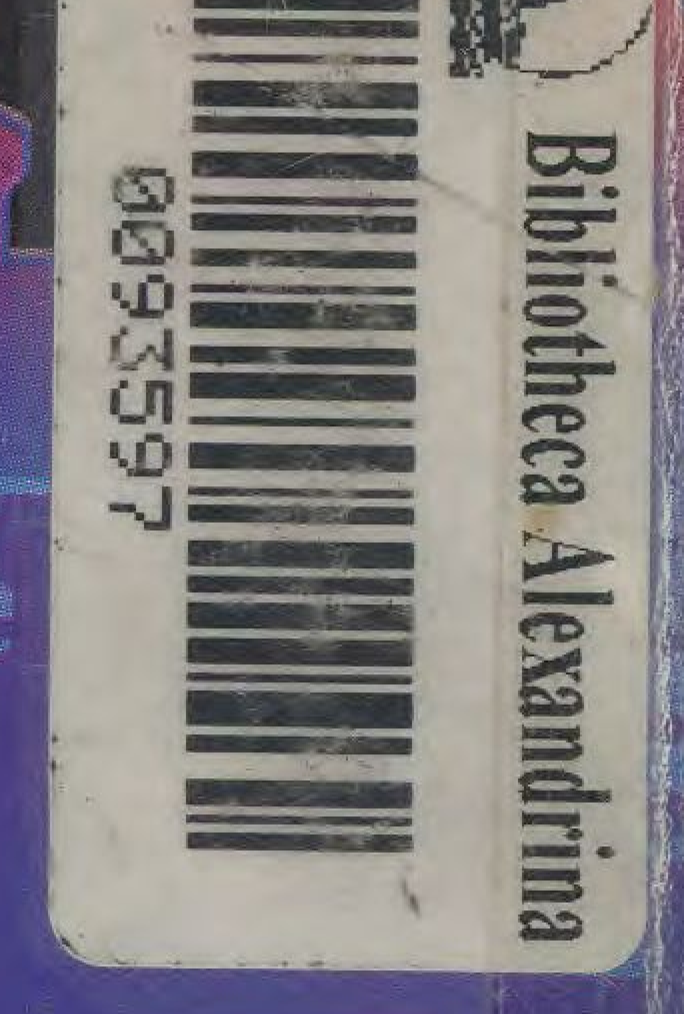
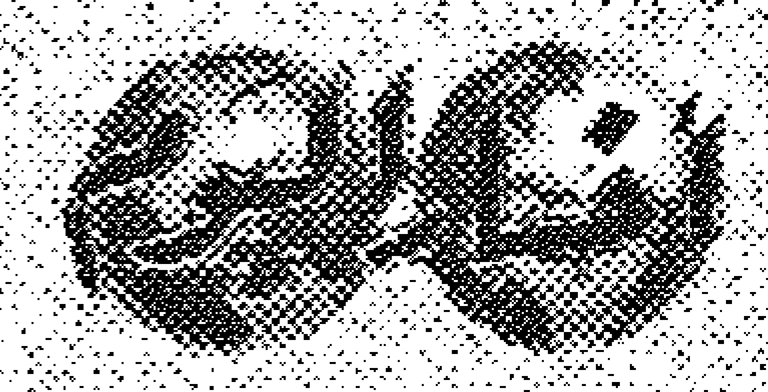


قطاع الثقافة

أمريكا يا ويكا

محمود السعدنى





رئيس مجلس الادارة:
ابراهيم سعده

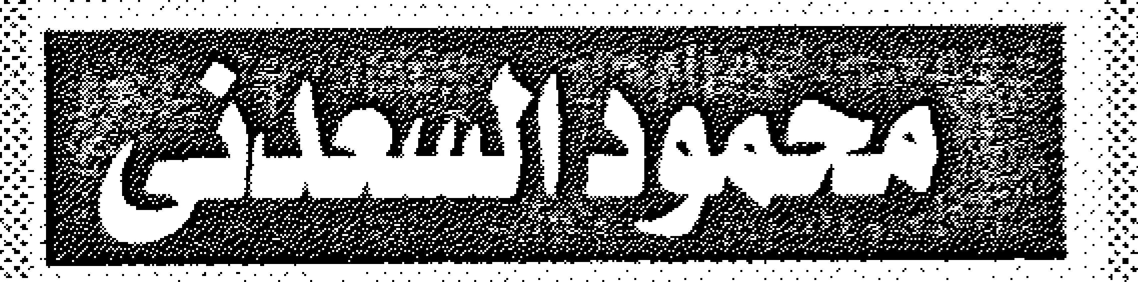
أخبار اليوم قطاع الثقافة أخبار اليوم قطاع الثقافة
قطاع الثقافة أخبار اليوم قطاع الثقافة أخبار اليوم
أخبار اليوم قطاع الثقافة أخبار اليوم قطاع الثقافة
قطاع الثقافة أخبار اليوم قطاع الثقافة أخبار
أخبار اليوم قطاع الثقافة أخبار
قطاع الثقافة أخبار

أمريكا يا ويكا

محمود السعدني



أمريكا ياويكا



استفتاح

أمريكا هى اعظم وأضخم وأرخم امبراطورية ظهرت فى التاريخ.. اما كونها أعظم فهى اختصرت من ميزانيتها بعد التفاهم مع الاتحاد السوفيتى ١٦٠ مليار دولار من ميزانية الدفاع نلك العام... اما كونها اضخم فهى بلاد بلا حدود، وهى فى حجم ٥٠ دولة، وشعبها خليط من كل شعوب الارض. اما كونها ارخم امبراطورية، فهى بالرغم من عظمتها وضخامتها تدعى ان اللوبى الاسرائيلى يتحكم فى مقدراتها وفى قراراتها. وهى تغضب جدا اذا اشترت امارة عجمان مثلا صفقة سكاكين من الصين، ولكنها تهنىء اسرائيل اذا اطلقت صاروخها الى الفضاء الخارجى. والدليل على رخامتها ايضا ان كل رؤسائها مع اليهود وهم فى السلطة،، ومع العرب عندما يصبحون على المعاش. وهى تجتاح دولة فى حجم حى من احياء نيويورك مثل بنما بحجة ان رئيسها نورييجا يتاجر فى المخدرات، مع ان السبب الحقيقى فى اجتياح بنما هو السيطرة على قناة بنما واحتلالها الى الابد. وهى هاجمت كوبا ذات يوم بحجة ان كاسترو دكتاتور، ولكنها تتعامل مع دكتاتور السلفا دور، وتتعاطف مع دكتاتور زائير. وهى ظلت زمنا

طويلا تذرف الدمع على حقوق الانسان الضائعة فى رومانيا وفى بولندا، ولكن قلبها لم يخفق مرة واحدة لحقوق الانسان الضائعة فى دولة اسرائيل! وهى زعيمة العالم الديمقراطى، ولكنها انتقضت غاضبة عندما سادت الديمقراطية فى شيلى، وتآمرت عليها واسقطت الرئيس المنتخب الليندى وقصفت قصره بالقنابل وقتلته تحت الانقاض! وهى قائدة العالم الحر، ولكن كل عملائها فى بعض اجزاء العالم يحكمون بالحديد والنار. وهى تتصدر الحملة ضد المخدرات فى العالم، ومع ذلك تبيع الصنف الممتاز فى اسواق العالم لتشترى اسلحة لجيش الكونترا الذى كان يقاتل الثورة فى نيكاراجوا.

ان امريكا باختصار هى ارخم امبراطورية عرفها تاريخ البشر، ومع ذلك فالسوق الامريكية هى أكبر سوق تجارية فى العالم، والديمقراطية فى داخلها هى اوسع ديمقراطية عرفها اى شعب من شعوب الارض.

وباستطاعة اى مواطن امريكى أو مقيم على أرض امريكا ان يصدر صحيفة أو يؤلف حزبا او يخترع دينا جديدا او يدير محطة اذاعة أو يمتلك قناة تذيع ما يشاء من برامج التليفزيون. وفى امريكا صحافة تستطيع ان تسقط رئيس الولايات المتحدة، وفيها أعظم ابطال الرياضة وأغنى اغنياء العالم، واعظم فن سينمائى يمكن انتاجه، وفيها فن مسرحى ليس له مثيل فى اركان المعمورة، وفيها فرص لأى صاحب فكر أو صاحب علم، وهى رائدة فى مجال الفندقة وفى مجال الاطعمة المحفوظة، وهى اكثر دولة فى العالم استخداما للطيران الداخلى، واغنى وأقوى شركات الطيران بها هى التى تعمل طائراتها

على الخطوط الداخلية، وأهيف شركاتها هى التى تعمل فيما وراء البحار. وفى امريكا عصابات تسرق الكحل من العين، وفيها مافيا تدير المعارك الانتخابية، وتقاول حضرتك لتوصيلك الى الكونجرس أو الى الوزارة. وفى امريكا فساد لم يسبق له نظير من قبل ولن يكون له نظير فى المستقبل. وفى مقدورك ان تشترى عضو الكونجرس، وعضو مجلس الادارة، ومحافظ الولاية ومدير البوليس فى المدينة، وصاحب القلم وحامل المسدس، ولكن نهار أبوه ازرق من يضبط فى حالة رشوة، ونهار جده اسود من تسوقه الصدف السيئة الى دخول السجن الامريكى.

امريكا باختصار ليست دولة ولكنها قارة، وهى ليست جزءا من البشرية ولكنها البشرية نفسها فى سحرها وفى انحطاطها، فى ظلمها وفى عدلها، فى طموحها وفى اعتدالها، وفى غناها وفى فقرها، فى زهدها وفى طمعها. وهى على عكس الامبراطوريات السابقة اذا سقطت ستجد العالم كله معها، لأن اقتصادها يؤثر فى العالم كله. ودولارها هو العملة الرسمية الآن للكرة الارضية. وأى دولار نضعه فى اى بنك فى العالم تجده مدرجا فى كشف بالبنك المركزى الامريكى.

انها فتوة العالم الجديد والوحيد ايضا. وهى مثل المرحوم ابراهيم كروم فتوة مصر، استطاعت ان تحطم كل الفتوات الآخرين، وان تزيحهم من طريقها، وان تدوس عليهم بالاقدام. ونهار امه ازرق اى زعيم يقف فى وجه اطماعها، أو يتحدى ارادتها، او يخرج عن خطها، وهى احيانا تتدخل بنفسها واحيانا تستخدم صبيانها استخدمت

اسرائيل ضد العرب، وحكومة بريتوريا ضد افريقيا، وباكستان ضد افغانستان. والسان سلفادور ضد نيكاراجوا، وجواتيمالا ضد كوبا، وتايوان ضد الصين، وكوريا الجنوبية ضد كوريا الشمالية!

وهي البلد الوحيدة التي تطلق على حكومتها اسم ادارة، لأنها ليست دولة ولكنها شركة، ومواطنوها ليسوا شعبا ولكنهم مساهمون في الشركة، وكل مساهم يستطيع ان يضاعف حصته بشراء اسهم أكثر، ويخون الحظ بعض المساهمين فيفقدون الاسم تبعهم ويتحولون الى صياع ومتسولين. ونهار امه ازرق من يقع منهم من قعر القفة. لأن الشركات لا قلب لها، ان المصلحة هي سيدة الموقف، وعليك ان تدافع عن مصلحتك بقبضة اليد، او بماسورة المسدس، ولذلك فليس هناك أي فرصة في حل عادل لأي مشكلة والأمل الوحيد هو في الوصول الى العدل الامريكي للمشاكل والعدل الامريكي هو الى جانب القوي وضد الضعيف، انه عدل اشبه بقانون الغابة وفي هكذا قانون لا أمل اطلاقا في ان يتغلب الحمار الوحشي على الاسد، او يطارد الارنب الذئب، او تتحدي الغزالة النمر، وعلى من يريد ان يحصل على حقه في العصر الامريكي ان يكون له مخالب وانياب، وان يكون له زئير. اما الغلابة والذين على باب الكريم فليس لهم اى أمل وليس امامهم اى مخرج، الا ان يرضوا بالمكتوب وان يخضعوا للمقسوم، او يطلبوا من امريكا حمايتهم لقاء السمع والطاعة.

وسوء حظنا نحن ابناء هذا الجيل اننا عشنا العصر الامريكي. ووقعنا تحت طائلة العدل الامريكي. وذقنا بعض الخير الامريكي من اول الشيراتون الى فراخ كنتاكي. والخيبة التي هي بالويبة ان العمر

امتد بنا حتى شهدنا البرسترويكا تبع العم جورباتشوف. لقد كانت الامبراطورية السوفيتية خيال مآتة، ولكنها كانت صمام أمن، وكانت جدارا آيلا للسقوط يستخدمه الغلابة ساترا ضد الطغيان الامريكى، وكانت سلاحا صدئا ولكنه رغم الصدأ كان يذود عن الخائفين والمرتعشين ثم جاءت البروسترويكا لتلقى بخيال المآتة على الارض، ولتهدم الجدار الخامس وتكسر السلاح الردىء وخلت الساحة للفتوة الامريكى ولصبيانه العابثين.

ولكن... رب ضارة نافعة. وحسب القانون الآلهى. كل شىء هالك الا وجه ربك وحسب قول الشاعر لكل شىء اذا ما تم نقصان. وكما المثل الشائع، ما طار طير وارتفع، الا كما طار وقع. وسيجرى القانون على امبراطورية امريكا كما جرى من قبل على كل الامراطوريات وسيحدث فى الحياة كما يحدث فى المسرح. عندما تصل الاحداث الى الذروة يبدأ الانهيار، واعتقد اننا على ابواب مرحلة بداية النهاية. وكل ما نرجوه هو الا تتحقق مقولة ما تفرحش فى اللى راح الا لما تشوف اللى جاى.

وندعو الله ان يجعل العصر القادم افضل من العصر الامريكى، وان تظفر البرية بعصر جديد، يأخذ فيه كل ذى حق حقه، ويتساوى فيه الجميع فى الحقوق والواجبات وليكن العصر القادم هو عصر البشر وليس عصر الامبراطوريات ولا يمكن الوصول الى هذا العصر، الا بقيام دولة الكرة الارضية فلا حدود ولا جوازات ولا ميزانيات، وانما خير الارض لكل اهلها.

هل يحلم العبد لله؟

اعتقد ان هذا هو الذى سيكون خلال المائة عام. القادمة. وعندما يأتى الوقت، سيكون الدين لله، والارض للجميع.

ويا رحيم، يا رحمن، نجنا من العصر الأمريكى.

محمود السعدنى

١ الناس الطيبون!!

عندما وضع كولومبس أقدامه على الارض الامريكية كانت امريكا كلها شمالية وجنوبية هى أرض الهنود الحمر، وبعد ان عاش كولومبس معهم فترة، كتب الى ملك اسبانيا قائلا: هؤلاء الناس طيبون جدا ومسالمون جدا، بحيث انى اقسم بجلالتكم انه لا يوجد أمة فى العالم افضل منهم، انهم يحبون جيرانهم اكثر مما يحبون أنفسهم، كما ان حديثهم شديد الحلاوة واللطف، ورغم انهم فعلا عرايا، الا ان سلوكهم محتشم وجدير بالاطراء.

ولكن هذا الاطراء من جانب كولومبس لم يمنعه من خطف عشرة من الهنود الحمر، حملهم معه الى اسبانيا، وقد مات أحدهم بعد وصوله الى الشاطىء الاوربى، ولكنه قبل ذلك كان قد أصبح مسيحيا طيبا، ولقد كانت رحلة كولومبس الى امريكا هى بداية النهاية لصنف الهنود الحمر. وانتهت المعركة بين البيض والحمر بإبادة قبائل بأسرها، وضاع كل اثر لقبائل الفيكوت والبوكانكت والاباتشى والكوماتشى والموهيكان والغاراغانست والشونى، ولم يدمر البيض صنف الهنود الحمر فقط، ولكنهم دمروا الحضارة والتاريخ والعقيدة

والفن، وأبادوا الجنس نفسه، واشترك فى عملية التدمير الجيش الامريكى وتجار الفراء والباحثون عن الذهب والقتلة المحترفون، والمقامرون والمبشرون ورجال اللاهوت، وبلغت وحشية البيض حدا لا مثيل له فى التاريخ، اذ تم ابادة قبائل غارا غانست وبنواخ خلال عام واحد فقط وابيدت قبائل البودا وتأمى والكياكابو بعد حرب ضارية دامت عشرة اعوام، وكانت قبائل الهنود تقاتل بقيادة الصقر الاسود، وحققوا انتصارات رائعة ضد البيض، ولكن بعض الخونة من الهنود الحمر خانوا زعيمهم، فسلموه للبيض عام ١٨٣٢ مقابل عشرين جوادا ومائة دولار، وقد أدخلوه السجن ولكنهم قبل ذلك عرضوه للفرجة على البيض فى المدن المختلفة، وبعد ان مات فى اسره الذى لم يستمر الا ست سنوات، حصل حاكم منطقة ايوا على هيكله العظمى وعرضه فى مكتبه عدة سنوات، وأندروا جاكسون رئيس امريكا الاسبق، والذى كان الهنود الحمر يسمونه السكين الحادة، ذبح خلال عمله كضابط عشرات الألوف من الهنود التشيروكى والتشيكوتو والسيمونول.

والحق أقول ان مأساة الهنود الحمر هى أعجب وأغرب مأساة فى تاريخ البشر، ففى البدء استقبل الهنود الحمر القراصنة البيض القادمين من أوربا بكل الود والترحاب، وعندما جاع هؤلاء الوافدون قدموا لهم الاغذية، وعندما شعروا بالبرد قدموا لهم الاغذية وعندما شعروا بالبرد قدموا لهم الاغطية، وعاملوهم كإخوة وأصدقاء، ولكن شيئا ما فى البيض وفى سلوكهم جعلهم ينفرون من صنف البيض عموما، فقد كان هؤلاء الوافدون من وراء البحر ذوو العيون الزرقاء

والشعر الاصفر يكرهون كل ما فى الطبيعة من غابات وطيور ووحوش ومروج وأنهار، وحتى الهواء نفسه كانوا يضمرون له حقدا شديدا، وقد اندهش الهنود الحمر بشدة عندما شاهدوا البيض يتبولون فى مجارى الانهار ويبصقون على الارض ويطلقون النار على الحيوانات دون ان تكون هناك أى حاجة لقتلها، لقد عاش الهندى حياته كلها يقدس الطبيعة، ويكن احتراما خاصا للانهار وللتربة وللغابات الحية وللطيور وكان لا يقتل الا الحيوان الذى يحتاج الى لحمه أو الى جلده، وكانوا يؤمنون باله السموات العلى، ويعتقدون ان الجنة فى مكان قريب من الله فى السماء، وان بها مروجا وغابات وجيادا اصيلة وانهارا تفيض بالعسل والسمن، وكانوا يعتقدون ان الميت ينتقل فورا الى الجنة بعد موته، وكانوا يقدرون الشجاعة ويحتقرون الجبناء، وزعيم القبيلة هو أشجعها، أما صاحب الحكمة فهو المستشار، وكانوا يصطادون الخيول البرية بطريقة لا يعرف سرها الا الهنود الحمر أنفسهم، وقد توصلوا اليها بعد دراسة طويلة لعادات الحصان وطبيعة حياته فى البرارى الموحشة، كان الهندى يعرف ان الحصان اذا شعر بالفزع انطلق هاربا بأقصى سرعة، وكان يقطع عشرة كيلومترات على الاقل قبل ان يشعر بالتعب، وعندئذ يضطر الى التوقف، وقد لاحظ الهندى الاحمر على مر السنين ان الحصان الهارب لا يذهب الى اتجاه معين ولكنه يدور فى حلقات، ويقطع المسافة التى يجريها على هيئة قوس، فاذا توقف، توقف فى مكان غير بعيد عن الذى انطلق منه، وبالخبرة والتجربة اكتشف الهندى أن النقطة التى يتوقف عندها الحصان لا تبعد عن النقطة التى انطلق منها اكثر من كيلومتر واحد

وعلى خط مستقيم معها، فكان الهندى يعمد الى افزاع الحصان البرى، فيسارع الحصان بالهرب، بينما يسير الهندى الهوينا فى خط مستقيم، وعندما يقطع الهندى كيلومترا واحدا يكون الحصان المتعب قد وصل الى نفس النقطة منذ دقائق، ويكون الحصان قد توقف ليلتقط انفاسه بعد ان شعر بالامان بابتعاده عن الخطر الذى أفزعه، ولكنه يفاجأ بعد لحظات بالهندى نفسه يقف امامه، فيعود الى الهرب من جديد، وتتكرر القصة مرتين او ثلاث مرات حسب قدرة الحصان وقوته، ولكنه فى المرة الثانية او فى المرة الثالثة على الاكثر يكون الحصان قد نزف انفاسه كلها، ويستولى عليه الشعور بأنه وقع فى قبضة قدر محتوم لا يستطيع منه فرارا، وعندئذ يقف الحصان مستسلما ويستسلم مطيعا، وبعد دقائق يكون الحصان مربوطا بحبل يمشى وراء الهندى الاحمر الى حيث يجرى تدريبه واستئناسه، ولقد حاول البيض اصطياد الحصان بالطريقة الهندية، ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا، فاكتفوا بوضع الفخاخ والكمائن فى طريقه، ولقيت آلاف من الجياد الاصيلة حتفها بسبب هذه الكمائن والفخاخ، وكانت قطعان البقر الوحشى تجوب الارض الامريكية بحثا عن المرعى والماء فى قطعان كبيرة، يربو عددها أحيانا على عدة ألوف، وكان الهنود الحمر على علم تام بمواعيد هجرتها وبالطرق التى تسلكها تلك القطعان، وكانوا يصنعون لها الكمائن فى الطريق، ويبدأون صيدها عندما تستقر هذه القطعان فى الاماكن التى تلجأ اليها وكانوا يصطادون العدد الذى يحتاجون اليه، ثم يتركون القطيع يرعى فى هدوء ويذهبون الى حال سبيلهم، ولكن الذى ادهش البيض حقا، هو ما لاحظوه خلال

عملية الصيد، فقد كان الهندى الاحمر يوجه سهمه القاتل الى البقرة التى وقع اختياره عليها فتسقط مكانها، ثم تتوالى السهام وسقوط البقر دون ان يحرك القطيع ساكنا أو يلجأ الى الهرب، بينما كانت رصاصة واحدة من البيض تجعل القطيع يفر هائما فى البرارى، ومات عشرات من الصيادين البيض اثناء عملية الفرار هذه بسبب الفزع الذى ينتاب القطيع ويذهب به الى حد الجنون احيانا، ولم يكتشف البيض السر الهندى فى اصطياد البقر الا بعد فترة طويلة من الزمان، وكان الفرق بين الطريقة الهندية والطريقة الاوربية هو الفرق نفسه بين المعرفة والجهل، والتجربة والخيبة، كان الهنود الحمر يدركون ان لكل قطيع قائدا من البقر يتبعه كل القطيع، اذا توقف القائد توقف القطيع واذا فر القائد فر القطيع وكان اول سهم يوجهه الهندى فى عملية الصيد يكون دائما من نصيب القائد، ثم تتوالى عمليات الصيد بعد ذلك دون ان يفر الجميع، لأن القائد لم يفر، ولأن القطيع منتشر على مساحة خمسة كيلومترات على الاقل، لم يدرك بعد ان القائد قد قتل، ولكن البيض لم تكن لديهم هذه الحاسة لمعرفة قائد القطيع، فكانوا يصطادون البقر بطريقة عشوائية، فكانوا يقتلون عشر بقرات مرة واحدة ثم ينطلق القطيع هاربا لا يلوى على شىء..

٢ فى سبيل الرب

وكان من عادة الهنود الحمر إقامة مهرجان كل عام اسمه مهرجان التأهيل الحياة، وفى هذا المهرجان كانوا يزوجون الرجال الشيوخ بالبنات الابكار، ويزوجون النساء المسنات بالشباب الناهض، وكان هذا الزواج لا يستمر اكثر من عام واحد، تكتسب فيه البنت البكر الخبرة من الرجل العجوز، ويكتسب فيه الشباب الخبرة من السيدة المسنة، وفى العام التالى يتزوج الشبان الاقوياء من الفتيات الصغيرات، وتبدأ دورة حياة جديدة مدعمة بالتجربة والخبرة، وكان يحلو للهندى العجوز ان يختار يوم وفاته، وكان غالبا يختار يوما ربيعيا جميلا، طقسه معتدل وشمسه مشرقة، فى ذلك اليوم كان الهندى العجوز يودع أهله، ويحمل معه الزاد الذى يحتاج اليه فى رحلته الى الدار الاخرة، ثم يصعد وحيدا الى قمة الجبل، وهناك يتمدد فى هدوء ويتطلع الى السماء ويتمتم فى صوت خافت، هذا يوم طيب يصلح لانتقال المرء من هذا العالم الارضى الى جنة الله فى السماء، ثم يغمض عينيه ويموت فى هدوء.

وكانت الحرب تدور بين القبائل الهندية بين الحين والآخر، وكانت

الحرب وسيلتهم لافراز جيل جديد من الزعماء والقادة. وكانت لهم تقاليد رفيعة وشديدة الرقى لم تعرفها جيوش البيض فى حروبها الا قريبا، كانوا لا يقتلون اسيرا ولا شيخا ولا امرأة ولا طفلا، ولا يطعنون احدا من الخلف، ولا يباغتون قبيلة، وكان من عادتهم اثناء المعركة سلخ جلود رءوس القتلى من قبائل الاعداء، وكان كل هندى منهم يزهو بعدد فروات الرأس التى فى حوزته ولكنهم كانوا يعفون عن سلخ فروة رأس المقاتل الشجاع، احتراما لشجاعته وتقديرا لقلبه الذى لا يخشى الموت، اما الجبان الذى يفر من المعركة، فهو لا يجلب العار على نفسه، ولكنه يجلب العار على القبيلة كلها، وغالبا كانت القبيلة تتولى قتله بنفسها، وكانوا يعيشون فى مجتمع بدائى ينتج فيه الجميع وتتوزع فيه خيراته على الجميع بعدل شديد، وكانوا يحترمون كبار السن ويستمعون الى نصائحهم ويستفيدون من خبرتهم. كان الهندى الاحمر يعامل النساء باحترام شديد ولطف اشد، ولذلك رفضت مئات من النساء البيض اللواتى وقعن فى اسرهم ان يتركن ازواجهن الهنود، ورفضن العودة الى مجتمع البيض بسبب المعاملة الطيبة والاحترام البالغ الذى كان يبديه الهندى لنسائه . وكان الهنود الحمر لا يأكلون الا الطازج من الطعام ويشربون اللبن المحلوب فور حلبه، ويأكلون الخبز الذى يصنعونه بأيديهم فور نضجه، وكان من عادتهم اقامة الحفلات والافراح كل ليلة يغنون فيها ويرقصون، وكان اذا مات الهندى فى الحرب، تاركا خلفه عدة زوجات، انتقلت الزوجات على الفور الى شقيق الميت واذا لم يكن له اشقاء انتقلت الى اولاد العم، أو الى العم نفسه، وكان من حق الهندى ان يتزوج اى عدد من

النساء مادام انهن راغبات فى الزواج منه فقد كان اختيار شريك الحياة من حق الزوجة وليس من حق الزوج، وكانت الزوجة اذا رغبت فى الافتراق، تركت بيت الزوجية ولجأت الى بيت رئيس القبلية، وكان من حقها عند ذلك ان تختار من تشاء ليكون زوجا لها، وكان مهرها هو عدة خيول وعدد من الابقار وعدد من فراوى الرأس قطعها المرشح للزواج فى معاركه ضد الاعداء، وكان الهندى اذا قطع عهدا على نفسه نفذه، واذا قاتل لا يتوقف عن القتال الا اذا قتل عدوه أو مات، وكان اذا اختلف مع قبيلته لاى سبب من الاسباب، لا يلجأ الى اعداء قبيلته علي الاطلاق ولكنه يعيش وحيدا في البراري حتي يتم الصلح مع قبيلته فيعود ادراجه كما كان، وكانت للهنود فنون راقية، ولا تزال بعض رسومهم باقية كما هى داخل الكهوف المنحوتة فى الجبال، وكانوا يتزينون بالريش ويعشقون الالوان الزاهية ويؤمنون بالسحر ويتداوون بالاعشاب البرية، وكانوا اول من اكتشف الطباق ودخنوه، وكانوا يعيشون كما قال احد زعمائهم (فى غاية السعادة والحب حتى جاء هؤلاء الوافدون من وراء البحر فجعلوا من الحياة محنة وأحالوها الى جحيم) والمأساة ان هذا الذى حدث للهنود من جانب البيض لم يكن له مبرر ولاى سبب، اللهم الا جشع البيض وطبيعتهم العدوانية واحتقارهم الشديد لغيرهم من البشر!

من يريد ان يفهم لغز أمريكا، عليه ان يعود قليلا الى الوراء. الى اللحظةالتى رست فيها اول سفينة على الشاطىء الامريكى، قادمة من الشاطىء الآخر للاطلنطى.. لحظتها كانت امريكا مجرد كيان جغرافى، قارة مترامية الاطراف، مترامية السكون، هادئة وعذراء،

غنية الى اقصى حد،، وممتلئة الى حد الشبع، تسكنها قبائل شديدة الشبه بقبائل العرب فى الجاهلية، قبائل وكل قبيلة لها زعيم، وكل زعيم له شارة، وهم يتكلمون لغة واحدة ولهجات شتى، ولهم فنونهم وادبهم، ويزاولون السحر ويمارسون الطب، ولهم عادات وتقاليد، ويقدسون الشجاعة ويتقبلون الموت برحابة صدر، ويحبون الورد والزهور، ويعيشون فى امان واطمئنان، وربما توهموا انهم وحدهم على كوكب الارض، وانه لا شىء فيما وراء البحر.. الا البحر وأمواجه واعماقه وسره الدفين! هكذا كانت قارة امريكا لحظة رست اول سفينة قادمة من الشاطىء الآخر تحمل على ظهرها عصبة من حثالة قارة اوروبا، مهاجرين بحثا عن الرزق وهاربين من أحكام قضائية، ومجرمين خارجين على القانون، ومغامرين سئموا الحياة فى الارض القديمة التى أجدبت، وجاءوا يضربون فى المجهول عن حياة أفضل ومستقبل مضمون!! ومع هؤلاء كان هناك عدد من المبشرين جاءوا يصرخون فى البرية أعدوا طريق الرب مهدوا سبله مستقيمة! وكان الجميع على ظهر السفينة مسلحين من الرأس حتى اخمص القدم، خناجر ومطاوى وبنادق ومسدسات ومدافع، حتى اصحاب القداسة كانوا مسلحين بالأناجيل والصلبان والمسدسات. ولم لا؟ وقد جاءوا فى مهمة فى سبيل الرب، فى سبيل الرب سيفعلون اى شىء وكل شىء، وهم بالتأكيد فعلوا ذلك، لم يتوانوا ولم يتهاونوا، وعلى المعابد البدائية للهنود الحمر اقاموا كنائسهم، وعلى اشلاء الملايين من سكان البلاد الاصليين شيدوا اديرتهم، واختلطت انغام الاورغن وتراتيل صلاة عيد القداس بصياح الجرحى من الهنود الحمر وانات

الذين حصدهم الرصاص بالالوف وداست عليهم حوافر الخيل بلا رحمة! المهم انه لحظة رست السفينة أول مرة على الشاطيء الامريكى لم يكن على ظهرها من حضارة العالم القديم الا المسدس والانجيل. ومن هذه اللحظة والى الابد ستلعب كل اداة منهما دورا مهما ومؤثرا فى حياة امريكا! وسيكون المسدس فى المقدمة والانجيل بعد ذلك، ولكن كل منهما سيكمل مهمة الآخر، وسيكون التعاون بينهما على أكمل وجه!

تلك، كانت البداية، ولكن النهاية جاءت افضل مما كان يرجو هؤلاء الرواد، تم ذبح الهنود الحمر عن بكرة أبيهم، حتى الذين القوا السلاح وعقدوا المعاهدات معهم، انقضوا عليهم ونبحوهم بعد ذلك، فلم يكن هؤلاء المهاجرون. البيض ينشدون السلام، ولكنهم كانو يريدون الارض!! وتحرك البيض على ثلاثة محاور لتحقيق هذا الهدف، ابادة الذين هبوا يدافعون عن أرضهم، وتحييد الذين لم يفهموا حقيقة الامر، واستمالة الذين فى قلوبهم مرض!! استمالوهم بالويسكى وبالسلاح، وهو سلاح استخدم اغلبه فى ابادة هنود اخرين، مستغلين حب الهنود للزعامة، وسعيهم للرئاسة، وشغفهم الشديد بقيادة الاخرين! ولم يكن هناك فى ذلك الوقت رأى عام عالمى ولا صحافة مؤثرة، ولا راديو ينقل الاخبار، ولا امم متحدة، أو حتى متنافرة، كما انه لم يكن هناك قانون يحكم العلاقة بين اصحاب الارض وهؤلاء الذين جاءوا من وراء البحر. كان كل منهم قاتلا أو مقتولا، وكان قتل البنى ادم لا يكلف اكثر من رصاصة، وكانت الرصاصة لا تكلف اكثر من خمسة سنتات، ولذلك، كان البيض يتسلون احيانا بقتل قبيلة

صغيرة، وأحيانا كانوا يتراهنون على قتل عائلة هندية ترعى على شاطىء النهر! وكان القتل أداة لتبديد السأم، ووسيلة لشغل أوقات الفراغ!

وهكذا. ومن خلال أكبر جريمة عرفها تاريخ الانسان، قامت امبراطورية أمريكا ولاتزال ، امبراطورية العنف والعافية، العضل والقبضة، القوة والعنفوان! وبدلا من السهول امتدت الشوارع، ومحل الجبال قامت ناطحات السحاب، وبدلا عن الحصان انطلقت السيارات من كل نوع! وفى اول ايام الاستقرار كان البيض يختارون اشرس المجرمين لتولى منصب العمدة، وبعض هؤلاء كان يجمع بين العمدية والقضاء! وفى تاريخ امريكا صفحات مطولة عن ثورات هبت ضد عمد، وضد قضاة وانتهت بشنقهم على أغصان الشجر! فهذا الشعب الذى احترف القتل لم يكن من السهل قياده الا بواسطة قتلة لهم تاريخ عريق فى الاجرام! ولقد توارثت الدولة الجديدة الروح نفسها، وشرطة امريكا هى اغرب شرطة فى العالم، وسحب المسدس اسهل من سحب سيجارة، وقتل مواطن فى الطريق أهون من قتل ذبابة! ولذلك ينصح السائح والغريب ان يستسلم على الفور اذا امره شرطى بذلك، والا يحاول ان يدس يده فى جيبه لاستخراج منديل او علبة سجائر، لان وضع اليد فى الجيب معناه فى السلوك الامريكى انك تشرع فى سحب المسدس، وعندئذ يكون من حق الشرطى اطلاق النار عليك.. ولا تثريب عليه! ولذلك ايضا ستجد فى جيب كل مواطن امريكى سلاحا يدافع به عن نفسه، ويعتدى به على الاخرين، حتى الفقراء منهم يحملون شفرات حلاقة من النوع الذى كان يستعمله

الحلاقون ايام زمان! وفى كل بيت ستجد مدفعا رشاشا على الاقل، ومسدسا سريع الطلقات، وبندقية آلية، حتى مظلات السيدات تجد لها سنونا مدببة تخترق قلب الأبعد اذا لزم الامر! ولهذا السبب لن تعثر بسهولة على متسول فى امريكا، ولماذا يتسولون؟ اذا كان العاطل يستطيع ان يأكل عيشه بمسدس، والضائع يستطيع ان يشق طريقه فى الحياة بخنجر، كما ان المدفع الرشاش هو خير وسيلة للسيطرة على الجماهير، والعصابات هى طريقك الى مجلس النواب ومجلس الشيوخ ورئاسة الدولة، وهى ايضا الوسيلة الوحيدة للوصول الى قيادة النقابات العمالية والنوادى الرياضية ولذلك فكل مدينة فى الولايات المتحدة هى غابة من الاسمنت المسلح، وهى غابة اكثر خطرا من غابات افريقيا، وأشد شراسة من احراش الأمازون!

ان الامبراطورية التى قامت على القتل، ستظل تمارس القتل حتى النهاية ولن تعرف من أين يأتيك الموت، من العصابات ام من الشرطة؟ من الشعب ام من الحكومة؟ فالكل قاتل والكل مجرم. وعساكر الشرطة يشاهدون فى المطاعم يتناولون طعامهم ومسدساتهم على الطاولة، والمجرم يقضم الساندويتش بيساره ويمينه فى جيب معطفه استعدادا للطوارىء! وسائق التاكسى مسدسه فى جيب بنطلونه، والساقى فى البار مسدسه فى درج أمامه محشو مستعد للاطلاق فى أى لحظة، وربة البيت تسحب مسدسها من تحت الوسادة اذا دق جرس الباب بعد التاسعة مساء! وينصحك مدير الفندق الذى تنزل فيه بعدم الخروج وحدك ليلا، وينصحك بعدم الوقوف على باب الفندق بعد الحادية عشرة مساء! وينصحك الجميع بعدم استخدام مترو

الانفاق الا اذا كنت ضمن شلة، انه الخوف يحكم المدينة ويحكم الولاية ويحكم الامبراطورية كلها. وهم يخافون القتل ويمجدون القتلى. وكما كان حسن الامام مخرج الروائع يحتفل بالراقصات ويكتب تاريخ مصر من خلال صالة بديعة. كذلك فعلت هوليود، فهى تكتب تاريخ امريكا من خلال الجريمة، وتؤرخ للولايات المتحدة من خلال قصص حياة اشهر المجرمين! وهم مجرمون لا كمثلهم مجرمون فى اى مكان. فى انجلترا مثلا يحتفلون بروبين هود، كان مجرما يحب الفقراء ويعطف على الضعفاء، وكان يسرق من الاغنياء ليعطى المعدمين! وارسين لوبين فى فرنسا كان لصا شريفا يسرق الاثرياء ليعطى الفلاحين. ولكن دلنجر فى امريكا كان شيئا آخر مختلفا. لصا حقيرا يتحاور بالمسدسات، ويتفاهم بالمدفع الرشاش، وهو يقتل الذين يقفون فى وجهه والذين يقفون من ورائه! وهو لا يرحم الذين يعملون ضده والذين يعملون معه. وهو قتل اعتى خصومه واخلص اصدقائه، وهو اخذ من الجميع ولم يعط احدا شيئا، وسلمته للموت البنت التى كانت تحبه، عندما اكتشفت انه لا يحب احدا ولا يتعلق بأحد، وانه مجرم هوايته القتل ومهنته السرقة! وجونى ايجر مجرم عتيد فى حياة امريكا كان سائق تاكسى فى النهار وملكا من ملوك الجريمة فى الليل، وكان يشرف على امبراطورية من كازينوهات القمار، وبيوت الدعارة وشبكات لتزييف العملة، ومافيا لفرض الاتاوات! وبلغ من فرط وحشيته ان هجره الكل وتركه الجميع، ولم يبق معه الا صديق واحد كان يبكى الليل كله وينزوى فى احد الاركان النهار كله. وعندما صرخ جونى ايجر فى وجهه لماذا لا تذهب انت الآخر؟ رد وهو يبكى لاننى

اجبن من ان انهب. واضعف من ان اعتمد على نفسي، وليس احب على قلبي من أن اراك يوما جثة ممزقة بفعل الرصاص. ولم يتركه جوني يستمر، اخرج مسدسه وافرغه في دماغه، وفقد آخر صديق! وهذه هي عينة من مجرمي امريكا، مجرمون بلا طعم وبلا لون، مجرمون فقط، مجرمون لاأكثر ولا اقل. واذا كان الاناء ينضح بما فيه. فالمجرم الامريكي هو نتاج المجتمع الامريكي، وهو نموذج الشخص الامريكي، هذا الذي انحدر من سلالة المهاجرين الاوائل، الذين ذبحوا قبائل باسرهم ولم يخفق لهم قلب، وابادوا شعبا باسره ولم يرمش لهم جفن. وهؤلاء هم الذين ارتكبوا مذبحة هيروشيما دون اي قلق! وارتكبوا مذابح فيتنام دون اي عذاب، وقتلوا الملايين في كورياوفي شيلي وفي جواتيمالا وفي بوليفيا وفي الكونغو دون اي احساس. فالمهم ليست الخسائر، المهم النتائج، والامريكي الحقيقي يقول لك في خيلاء لولا ابادة الهنود الحمر لما كانت امريكا، ولولا امريكا لما كانت حضارة القرن العشرين! لقد خضنا في بحر الدماء لكي نصل الى القمر والى الكواكب. وما قيمة الهنود الحمر امام تفتيت الذرة وانتاج مركبات الفضاء؟

هذه هي النفسية الامريكية وهذا هو المزاج الامريكي، وهذا هو التاريخ الامريكي بلا ديكور ولا تزويق! سلسلة متصلة من الجرائم، وهي جرائم ادت الى الخير في النهاية من وجهة النظر الامريكية. ولذلك... عبثا تحاول استدرار عطف امريكا على شعب فلسطين، وعبثا تحاول دفع امريكا الى الوقوف في صف قضية السود في جنوب افريقيا. فامريكا ترى في اسرائيل شبابها الاول، انها كالكاتب

العظيم الذى يصادف كاتبا شابا يذكره بشبابه، فيسارع الى تقديمه وتدعيمه واحتضانه. واذا كانت اسرائيل قد ابادت نصف الشعب الفلسطينى فان جريمتها هى نصف جريمة امريكا والامريكى عندما تناقشه فى هذا الامر، يظن انك ابله او ربما معتوه. وماذا فى ابادة نصف شعب؟! اذا كان الثمن هو قيام اسرائيل قمة التمدن فى صحراء القرون الوسطى، وبيداء الجهالة والاستبداد! ان المسألة ليست شفقة وليست انسانية انه منطق القوة، والامريكى مع القوى، وهو مع الغالب، لأن التاريخ نفسه لا يقف الى جوار الضعفاء والمهزومين. المهم هو النوع الانسانى، ليس مهما من الذى ذهب؟ ومن الذى يجىء؟ بل المهم من الموجود الآن؟ وماذا يفعل؟ ولذلك لن تجد الحكومة الامريكية صعوبات فى اقناع الراى العام الامريكى بضرورة ابادة شعب العرب لانهم يحتكرون النفط ويهددون مستقبل امريكا ووضعها الممتاز! ولن تجد صعوبة فى اقناع الرأى العام بضرورة ابادة الروس لانهم العقبة فى طريق امريكا لفرض سيطرتها على العالم واحكام قبضتها على الكون! فالامريكى مستعد لأن يسمع كلمة «ابادة» دون ان ينبض فيه عرق. المهم ان تكون «الابادة» مضمونة وطريقها سهل ومهم أكثر ان تتم الابادة دون خسائر جسيمة للجانب الامريكى. واذا كان جد الامريكى الاول قد اباد صنف الاباتشى والكومانشى وجلس فى أرضهم يصطاد السمك ويربى الدجاج. فليس صعبا ان تقنع الحفيد بابادة جنس العرب وجنس الافريكان، خصوصا اذا اكدت له ان فى هذه الابادة مصلحة لتطوير المدنية وفائدة لعملية الارتقاء بالحياة!

غريبة، اليس كذلك؟ ولكنها أمريكا القاتلة. امريكا التى ذبحت شعبا بأكمله. وداست على حضارة زاهرة، واذابت جنسا عن اجناس البشر، واقامت حضارتها على اشلاء وعظام وجماجم عشرات الملايين، ثم اعتبر الامر كله بعد ذلك طبيعيا، وانطوت صفحة الجريمة وكأنها لم تكن، ثم امتد التزييف بعد ذلك الى سجلات التاريخ، وتحولت الجريمة الى عملية جراحية كانت ضرورية من اجل نمو المدنية وتطوير الحضارة!! وكما المريب يكاد يقول خذونى ستجد على ابواب امريكا الآن تمثالا يحمل شعلة موقدة فى يده، ويسمونه تمثال الحرية! الحرية؟! ولم اجد معنى لهذا التمثال بعد شهر كامل قضيته فى أمريكا الا أن تكون حرية المهاجرين من خلف البحر فى ابادة سكان الارض الاصليين!! وبهذا المعنى فقط انطلقوا، وتمتعوا بحريتهم على أكمل وجه! ويا ايتها الحرية، كم من الجرائم ترتكب باسمك!!

٣ نهر الدم

ولقد قدر للعبد لله ان يشهد بقايا أسوأ جريمة ارتكبها جنس البيض من البشر ضد جنس آخر، كل جريمته انه من لون مختلف. ولم يبق من شعب الهنود العظيم فى قارة امريكا المتسعة الارجاء الا سكان هندوراس وبوليفيا وكولومبيا والمكسيك. اما الذين بقوا منهم فى الولايات المتحدة، فقد ذابوا فى المجتمع الامريكى، يرتدون الجينز ويدخنون البايب ويرقصون على انغام الروك اندرول. ولكن الحكومة الامريكية لانها بلا تاريخ ولانها عديمة الاصل والفصل، فقد حرصت على اقامة مستعمرة هندية لزوم فرجة السياح، وداخل المستعمرة يقوم بعض الهنود الحمر بتمثيلية كاملة عن حياة الهنود الحمر قبل مجيء البيض من وراء البحار. فالزعيم يجلس فى الخيمة، على رأسه تاج الريش وفى يده غليونه وحريمه بين يديه، وفى انحاء قرية الهنود عشرات من الشغيلة. بعضهم يدبغ الجلود، وبعضهم يطهى الطعام، وبعضهم يقوم بترويض الخيل. صورة كاذبة عن مجتمع الهنود فى سالف الزمان. فلم يكن الهنود الحمر من هذا الطراز من البشر، يتكئون على المساند ويقضون وقتهم مع الحريم. فقبل مجيء البيض

من وراء البحار، كان لدى الهنود الحمر مهنتان رئيسيتان ومقدستان ايضا. العمل، والقتال. كان الهندى فى أيام السلام يعمل بلا كلل، يصطاد فى الغابة، يصنع فراشا ولباسا من جلود الحيوانات، ويصنع سلاحا من عظامها وقرونها، وكان يزرع الارض بالحبوب والدخان. وفى وقت الحرب كان يتحول الى مقاتل شرس، وكان المحاربون من طراز خاص، يستهين بالموت ولا يتردد فى النزال مهما كان حجم العدو أو قوته. وبالرغم من الهزائم التى نزلت بهم وقصمت ظهورهم، الا انهم لم يتوقفوا عن المقاومة فى اية لحظة، ولم يجبنوا فى أى وقت. وفى تاريخ الهنود الحمر يلمع عشرات من القادة العظام الذين حاربوا حتى آخر نقطة دم منهم (السحابة الحمراء) و(الحصان المجنون) والزعيم (تاتانكا يوتانكا) ومعناها الثور الجالس وكان (الذيل المرقط) هو زعيم قبائل التيتون وكان (الغراب الصغير) هو زعيم قبائل الآرا باهو، وكان (الذئب الوحيد) هو زعيم قبائل الكيوا، وكانت قبائل الكومانش يقودها الزعيم (كوانا باركر) أما الزعيم (كولورادو) فقد كان يقود قبائل الاباتشى، ثم ظهر من بعده الزعيم (جرينيمو) وهو الزعيم الذى اهتمت به استوديوهات هوليود وانتجت عنه اكثر من عشرة أفلام. اما قبائل آيل بوت التى كانت تسكن الاريزونا فقد كان يقودها الزعيم (اوراى) وهو من بين الخونة القلائل فى تاريخ الهنود. فقد حارب البيض فترة ثم انضم الى جانبهم ضد ابناء جنسه، واشتغل مع افراد قبيلته كجنود مرتزقة فى الجيش الامريكى ضد القبائل الاخرى. ولقد حارب جميع الهنود بشجاعة، وكالاشجار...

ماتت الغالبية العظمى منهم واقفين. اما الذين خدعوا بوعود البيض، فقد لقوا نهاية محزنة ومؤلمة. وفى تاريخ الهنود الحمر قصة مشهورة، بطلها آخر زعماء الهنود الحمر الذين قادوا المقاومة ضد البيض وهو الزعيم جرينومو.

فقد حارب البيض ثم وقع المعاهدات معهم ثم حاربهم مرة اخرى ثم اضطر الى الاستسلام لهم بعد ان اقنعوه بانه سيعيش حرا فى موطنه الاصلى كمواطن امريكى، ولكنه بعد ان وضع السلاح وسرح جيشه، القوا القبض عليه واخذوه عنوة مع قبيلته الى فلوريدا، حيث الرطوبة والحرارة والجو الخانق، وحيث كانت تعيش هناك بقية قبائل الاباتشى والكومانش. وعندما احتج على نقض العهود. سجنوه، ومات مصابا بالسل وهو مقيد فى الاغلال.

ولقد قدر للهنود الحمر ان يبرهنوا على شجاعتهم وعلى شدة مراسهم فى القتال فى معركة نهر البرعم. ولم تكن معركة بالمعنى الصحيح ولكنها كانت مذبحة لجيش الولايات المتحدة بقيادة الجنرال الامريكى الطفل كاستر الذى كان يلقب بجزار الهنود، وكان كاستر قد رقى الى رتبة جنرال وهو فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره، ولذلك اطلق عليه جنرالات الجيش القدامى الجنرال الطفل، فقد كانوا يكرهونه لرعونته واندفاعه وعدم مبالاته بالاخطار. ولكن حكومة الولايات المتحدة كان لها رأى آخر فى طفلها المدلل، كانت تنظر اليه باعتباره الجزار المناسب لذبح صنف الهنود وابادتهم، وكان هو عند حسن ظنها، واثبت فى معاركه ضد الهنود انه الرجل المناسب لهذه

المهمة، ولذلك لقبه الهنود بالجزار، وفى الوقت نفسه كانوا يحملون له كثيرا من الاعجاب لشجاعته، وبعض القادة الهنود كان يشعر نحوه بكثير من الاحترام، لاستهانته بالموت ولجلده على القتال، كانت معركة نهر البرعم هى واحدة من اعظم المعارك واشرسها التى دارت بين البيض والهنود الحمر. ففى نقطة ينحنى فيها النهر ويرسم قوسا التقى الجيشان ذات صباح، جيش البيض المكون من عشرين الف رجل بقيادة الجنرال كاستر وجيش الهنود الحمر الذى يضم محاربين اشداء من قبائل السو والبرولا والمنكنوا واسان ارك والشايان وتحت قيادة الزعيم الهندى (الثور الجالس) بدأت المعركة بمناوشات بين الفريقين استمرت عدة ساعات ثم لجأ البيض الى استخدام المدفعية الثقيلة، وعندما حل المساء لجأ الزعيم (الثور الجالس) الى حيلة خدع بها الجنرال كاستر، فقد اوعز الى جنوده بالفرار من ارض المعركة فى صورة شراذم مذعورة، وان يسلك المنسحبون كل الطرق وان يذهبوا فى كل الاتجاهات، وانطلت الحيلة على الجنرال كاسترا. فقد تصور ان الهنود اصيبوا بضربة قاصمة، وانهم تحولوا الى فلول، وبات ليلته على امل ان يطاردهم فى الصباح ليقضى عليهم جميعا مرة واحدة والى الابد. ولم يكد نور الصباح يضىء حتى كان جيش الهنود يحيط بمعسكر كاستر من كل الجهات. وعندما ادرك كاستر الموقف بوضوح، كان الوقت متأخرا. لقد افلح الجنرال الهندى (الثور الجالس) فى ابطال مفعول المدفعية الثقيلة، لان المسافة بين الجيشين لم تعد اكثر من عدة امتار ولم يعد امام كاستر

الا ان يقاتل بالبنادق والسلاح الابيض او يلجأ الى الفرار معرضا جيشه لخسائر رهيبة، ولكن كاستر الاحمق المغرور قرر ان يخوض المعركة ومهما كان الثمن. وعلى ضفاف نهر البرعم الذى تحول الى نهر من دماء البشر، دارت المعركة بين كاستر والثور الجالس، وانتهت نهاية اجبرت امريكا على تنكيس اعلامها، وصار يوم المعركة يوم حداد عام فى كل الولايات. لقد ابيد الجيش الامريكى الذى شاء له حظه النحس دخول هذه المعركة. وبلغ عدد القتلى اكثر من ثمانية عشر الف جندى، اما المئات الذين نجوا من القتل فقد وقفوا يتضرعون للهنود الحمر ان يأخذوهم اسرى، وابدوا استعدادهم للعمل عند الهنود الحمر كخدم، ولكن (الثور الجالس) رفض ان يأخذ اسيرا واحدا منهم وامر بقتلهم جميعا، وفتش الهنود الحمر بين جثث القتلى حتى عثروا على جثة الجنرال كاستر وقد اصيب بسهم فى قلبه، وعندما تقدم احد المحاربين الهنود لينزع فروة رأس الجنرال جريا على عادتهم، نهاه الثور الجالس بشدة، وامر بان يدفن بما يليق به كقائد احتراما لشجاعته وتكريما لذكراه كمقاتل لم يجبن ابدا عن خوض الحرب!!

وثارت ثائرة البيض فى العاصمة الامريكية وجردوا حملة للثأر وتمكنت هذه الحملة من ابادة عدة الوف من الهنود المسالمين الذين لم يشتركوا فى المعارك. والاغرب ان معظمهم كانوا من النساء والاطفال. وحينما احترم الهنود الحمر عدوهم الاكبر كاستر فلم يسلخوا فروة رأسه احتراما لشجاعته. نجد العكس تماما فى سلوك البيض، فلم

يحدث ابدا ان احترموااى شيء أو اى احد. وقد صرخ الزعيم جرينومو عندما عاد الى قريته بعد احدى المعارك واكتشف ان البيض اغاروا على قريته وهو مشغول بالمعركة وانهم احرقوا منزله عن اخره وقتلوا زوجته واطفاله. وقف الرجل يصرخ على اطلال منزله «لقد حاربت طويلا وكثيرا ولكنى لم اقتل فى حياتى امرأة أو طفلا او شيخا عجوزا أو مقاتلا بلا سلاح، ان هؤلاء البيض ليسوا بشرا ولكنهم شياطين على هيئة بنى ادميين».

٤ الحضارة والصياغة

وكانت معركة نهر البرعم هى صحوة الموت بالنسبة للهنود الحمر، فلم يحدث ان قامت لهم قائمة بعد نلك، واشتدت حملات البيض ضدهم حتى تمكنوا اخيرا من حصارهم فى مستنقعات فلوريدا، وبعض الهنود الذين تركوهم يعيشون فى اريزونا واجبروهم على ارتداء ملابس البيض وقبعاتهم، وظلوا يتسكعون بلا وجهة وبلا عمل، وسخر احدهم من حاله فقال «لقد البسونا ملابسهم ومنحونا إلههم لنعبده واعطونا كتابهم المقدس لنقرأه وحرموا علينا الزراعة والصيد وفرضوا علينا العيش على اعانة الحكومة، ثم قالوا لنا الآن تحضرتم، ولم اكن اعلم ان الحضارة والصياغة وجهان لعملة واحدة»!

لقد انتهت مأساة الهنود الآن لسبب بسيط للغاية، وهو ان الهنود انتهوا وستفشل الآن فى العثور على هندى احمر واحد فى انحاء الولايات المتحدة لانهم يحاولون اخفاء اصلهم. ولكن العبد لله عثر على احدهم فى طائرة عملاقة اقلتنى من نيويورك الى لوس انجلوس، قدم لى نفسه فى البداية على انه مكسيكى الاصل، وخلال الحديث عرفت منه انه مهندس رى وانه يعمل فى شركة كبرى تتولى تحويل

مجارى الانهار واقامة السدود عليها، وبعد ثلاث ساعات من الطيران فتح الرجل قلبه للعبد لله عندما علم اننى من مصر، ودهشت عندما علمت انه من الهنود الحمر، وان والده توفى منذ حوالى ثلاثين عاما وهو يرتدى زيهم. كان المهندس الهندى الذى يبلغ الخمسين من العمر من قبائل الشايان فى يوم من الايام، ونجا ابوه من معارك الابادة لانه كان طفلا، ولكنه ظل الى اخر يوم من عمره يذكر الايام السوداء ويحفظ تفاصيلها، وازدادت دهشتى عندما علمت ان المهندس الهندى معجب بعبدالناصر وبالزعيم كاسترو وقال لى المهندس الهندى انه يعانى الاضطهاد حتى الآن، ولكنه اضطهاد على الطريقة الامريكية، تشعر به ولا تراه، انهم يسمحون لنا بالتقدم للوظائف الحكومية، وندخل الامتحان وننجح بدرجات كبيرة،و ولكن من حق الحكومة بعد ذلك اختيار الموظفين من بين الناجحين، ولان حظوظنا سيئة، فلم يحدث ان وقع اختيار الحكومة على احد من الهنود الحمر الناجحين. لذلك سترى فى الحكومة الامريكية موظفين زنوجا وموظفين من اصل يابانى او صينى او يونانى او ايطالى، ولكنك لن تعثر على موظف واحد اصله من الهنود الحمر. وقال لى المهندس الهندى. ونحن نطير فوق ولاية كاليفورنيا انهم ينتجون كل عام افلاما عن الهنود الحمر يحشونها بالاكاذيب والمغالطات وينتجون مسلسلات تليفزيونية اكثر لتلويث سمعة الهنود الحمر وتلويث شرفهم والحط من كرامتهم، وفى المقابل يمنعون انتاج اى شىء ينصف الهنود الحمر او يشرح قضيتهم بعدالة، ورفضوا نشر كتب عن فنون الهنود ولغتهم، لقد سمموا عقول افراد الشعب الامريكى وسمموا عقول البشر جميعا،

بما انتجوه من افلام ومسلسلات، وهم يريدون تبرير جريمتهم ضد الهنود على اساس انهم كانوا مجرد حيوانات بلا لغة ولا فن ولا تقاليد من اى نوع، فالهندى فى افلامهم همجى بلا شرف وبلا اخلاق، وهو فى افلامهم يغتصب النساء ويقتل الاطفال ويقطع طريق البيض المسالمين ويجز رقابهم بلا رحمة. والحقيقة ان كل ما نسبوه للهنود فى افلامهم كان من صنعهم، والذى ساعد على ابادة الهنود انهم احترموا تقاليدهم واحترموا قيمهم، ولو انهم بادلوا البيض وحشية بوحشية وانحطاطا بانحطاط، فربما نجوا من المصير الاسود ولكنهم رغم كل الظروف لم يغتصبوا امرأة بيضاء قط، بينما لم تنج امرأة هندية وقعت فى ايدى البيض من الاغتصاب ولم يسكن المهندس الهندى الا عندما هبطت الطائرة فى مطار لوس انجلوس، والغريب انه لم يترك لى اسمه او عنوانه، باعتبار ان الثرثرة فى الطائرة اذا كانت ضرورية فالحذر اوجب! الهندى الاخر الذى التقيت به كان يرتدى بالفعل ملابس الهنود الحمر التقليدية. وكان اللقاء فى بغداد وفى مؤتمر عالمى لمناصرة العراق احتجاجا على ضرب اسرائيل للمفاعل النووى وقد حضر المؤتمر العالمى وفود من كل مكان. وكان من بينها وفد الهنود الحمر. واقول الحق، لقد ركبنى هم شديد بعد هذا اللقاء. روى الرجل مأساة الهنود الحمر بالتفصيل كان للمأساة اسباب كثيرة، من بينها وحشية البيض واصرارهم على ابادة جنس الهنود.



٥ تجارة البنى آدمين

قصة السود فى امريكا اسود من وجوههم، ومسيرتهم اصعب من دخول الجمل فى عين الابرة، وحكايتهم تحتاج الى موال ولا موال ادهم الشرقاوى، ومأساتهم فى حاجة الى شاعرة كالخنساء لتبكى عليهم! ومأساة السود فى امريكا هى مجرد فرع من المأساة الام، عندما اصبحت تجارة الرقيق كالنفط هذه الايام، مصدر ثروة ومصدر قوة، ولقد بدأت التجارة القذرة ذات يوم عندما خطفت سفينة برتغالية بعض اهالى ساحل الذهب (غانا) وعرضوهم للبيع فى البرتغال. واندهش الناس فى اوروبا لهذا البنيان البشرى العجيب، وهذا الاحتمال الذى بلا حدود، وهذا الصبر على الشقاء بلا نهاية! وسرعان ما تدفقت المراكب على الشاطىء الافريقى. تخطف وتبيع، وبدأت شركات العبيد تظهر هنا وهناك، شركات ولها علامات تجارية، ومؤسسات ولها مجالس ادارة، وانتظرت الاعلانات تدعو وترغب الناس فى البضاعة الجديدة. وانتشر السود فى المزارع وفى المخادع، وكما ربح التجار كسب النسوان البيض رجالا من نوع آخر!! واذا كانت أوروبا قد غرقت حتى اذنيها فى تجارة العبيد، فقد بقيت امريكا

لفترة من الوقت بعيدة عنها، كان المهاجرون الجدد فى الارض الجديدة منهمكين فى ابادة جنس الهنود الحمر، فلما استقروا بدأوا البحث عن ايد عاملة رخيصة، وذات يوم ربيعى من العام ١٦١٩ رست سفينة هولندية فى ميناء «بليموث» وعرض قبطان الباخرة على المستعمرين فى «جيمستون» صفقة رابحة. اذ عرض عليهم شراء عشرين زنجيا كانوا معه على ظهر السفينة كعبيد مقابل كميات من المؤن وبعض زجاجات الخمر وكمية مماثلة من التبغ، وكانت هذه الصفقة هى اول عهد الولايات المتحدة بالعبيد! وسرعان ما نشطت تجارة العبيد بعد ذلك بعدة اعوام، وكان مركزها فى البداية ولاية نيوانجلاند، ولم تلبث ان انتشرت التجارة وراجت، واصبحت من اهم مصادر الثروة فى ولاية جورجيا! كانت تجارة العبيد قد احتلت مكانا مرموقا فى العالم، وتحول ميناء ليفربول الانجليزى الى بورصة للعبيد، ودخلت اشهر الشخصيات الانجليزية فى سوق العبيد، لدرجة ان معظم ثروات اللوردات الانجليز كانت نتاج هذه التجارة المخجلة!

وعندما قفز عدد الزنوج العبيد الى الملايين، وضعت القوانين لتنظيم الرق، واختلفت هذه القوانين من ولاية لاخرى، فهناك قانون يحرم على العبد اقتناء الطيور الاليفة او تملك الارض والحيوانات وقانون آخر يحدد كميات الطعام التى يجب على السيد تقديمها للعبد، وقانون ثالث ينظم العقوبة التى ينبغى فرضها والحدود المسموح بها للقسوة عليه، ولكن القوانين اتفقت على ان قتل العبد مجرد مخالفة وشهادة العبد لا تقبل ضد السيد الابيض امام المحاكم!

٦ ميادين القتال والغرام

ولقد كان بين العبيد الاوائل الذين وصلوا الى الشاطىء الامريكى بعض المسلمين وكان من بينهم ايضا اعداد من الوثنيين، ولكن هؤلاء جميعا حرموا من ممارسة شعائرهم الدينية، واجبروا على اعتناق الدين المسيحى، وبالرغم من ذلك، لم يسمح لهؤلاء العبيد بتشييد كنائسهم الا بعد مائتى عام من وصولهم، وقامت اول كنيسة زنجية عام ١٨١٦. ولم يتنفس العبيد الا خلال حرب الاستقلال ، فقد حاربوا على الجبهتين، بعضهم مع الانجليز وبعضهم مع الامريكان!

وعندما نشبت حرب تحرير العبيد لم يكن الهدف تحرير العبيد فى الحقيقة، ولكن الهدف كان قيام «الولايات المتحدة» وبالرغم من انتصار الشمال على الجنوب، ومنح الحرية للزنوج، الا انهم لم يستمتعوا بحريتهم الا فى القرن العشرين، وبعد ان خاضوا الحربين العالميتين وتأكدت هذه الحرية بعد الحرب العالمية الاخيرة! وكانت الحرب العالمية الاولى هى الفرصة التى انتهزها الزنوج لاثبات حريتهم والكشف عن مواهبهم. وبسببها اعيد توزيع الزنوج على كافة الولايات المتحدة بعد ان كانوا يتكدسون فى الجنوب. والسبب انه عندما قامت

الحرب توقف سير المهاجرين الى الارض الجديدة، وعاد مئات الالوف من امريكا الى بلادهم الاصلية لتأدية الخدمة العسكرية وعندما خلت المصانع من العمال، اتجه اصحاب الاعمال الى العامل الاسود وتم شحن العمال السود من الجنوب الى الشمال باعداد ضخمة، وسرعان ما تدفق هؤلاء العمال من مناجم الفحم ومزارع القطن، ومن المطاعم والمطابخ، الى مدن عظيمة مثل سنسناتى وديترويت وشيكاغو ونيويورك. وبدأ تأسيس حى هارلم اعظم احياء الزنوج فى امريكا اكثر حى يتحدث عنه العالم!! وفى نيويورك بالذات حصل الزنوج على ممتلكات لاول مرة تقدر ببلايين الدولارات، وهبت احياء البيض المجاورة تقاوم ظهور السود، وظهرت المشاكل العمالية، وزادت الجرائم وتضاعفت اعمال الرذيلة وبسبب الحرب ايضا بلغ عدد الجنود السود الذين ارسلوا فيما وراء المحيط الى فرنسا ٢٠ الف جندى ملون، ونصحت فرنسا بألا تعامل السود معاملة البيض لان هذا العمل ليس من الحكمة، كما انه ليس من مصلحة احد! ولكن بنات فرنسا المتحررات الخاليات من عقدة اللون لم يعبأن كثيرا بتعليمات قيادة الحلفاء. عرف الزنوج لاول مرة طعم اللحم الابيض... واستطعموه!! وعرف الزنجى كيف يكون العبد سيدا فى ميدان القتال وسيدا فى ميدان الغرام ايضا! وحدثت عدة حوادث فى جبهات القتال، فقد اطلق الجنود الزنوج النار على بعض الضباط البيض لاصرار هؤلاء على معاملة الجنود السود معاملة الحيوانات، بينما كان رصاص الاعداء لم يفرق بين الابيض والاسود كما ان الشجاعة لم تكن دائما في صف الجنود البيض! وبالرغم من كل شىء فان فرقا

كاملة من الزنوج بالاضافة الى بعض من الضباط والجنود السود ادرجت اسماؤهم لمنحهم صليب الحرب، واخرون ادرجت اسماؤهم لمنحهم وسام الشرف، وصليب الخدمة الممتازة! ولكن هؤلاء الابطال السود ندموا بشدة عندما عادوا الى ارض الوطن، فقد استقبلوا من الجهات الرسمية بلا مبالاة وبدون ترحيب، وحاولوا من جديد فرض القيود عليهم ضاربين بعرض الحائط ما افرزته الحرب العالمية من نتائج جديدة!

ولكن غلاة المتعصبين من البيض كانوا يعلمون ان الحرب العالمية الاولى قد افرزت نوعا جديدا من السود، فألفوا فى الخفاء جمعية لاضطهاد السود، وهى جمعية «كوكلوكس كلان» وقد انشئت فى عام ١٩١٥، اى فى نفس الوقت الذى كان فيه السود يعرضون صدورهم لطلقات النار فى ميدان القتال! وشرعت الجمعية فى العمل على الفور، وارتكبت افظع انواع الجرائم ضد السود، وكان الزنوج يطاردون كالحيوانات ويطلق عليهم الرصاص ويشنقون ويحرقون بدون ادنى شفقة! ووقفت المحاكم فى صف المجرمين البيض ضد الزنوج! ووقف محام «ابيض» امام احدى المحاكم فى شيكاغو يترافع عن المتهمين بقتل عشرات من الرجال السود يقول «انهم سلالة اقل نشأة ولا يحق لهم التمتع بالاحترام الذى يجب ان يتمتع به الرجل الابيض»! وفى هذه السنوات الكالحة السوداء قام فى امريكا اول تنظيم للزنوج يدعو الى العودة الى افريقيا الوطن الام. وانتشرت بين السود الاغانى التى تبكى افريقيا وتتغنى بايام الغابة العذراء، وظهر الى الوجود اول تنظيم للمسلمين السود من هؤلاء الذين كانوا ينتمون

فى الاصل. الى دين الاسلام وسرعان ما انضمت اليهم جماعات اخرى كانوا قد اعتنقوا دين المسيح، باعتبار ان مضطهديهم كانوا مسيحيين وينتمون الى نفس الكنيسة التى ينتمى اليها السود! وظهر الاب الاسود يصرخ بأعلى الصوت ضد المجرمين البيض، وصدرت اشعار جيمس ولدن، والف مستر جونسون «مانهاتن السوداء» وقام الن لوك بنشر ديوانه «الزنجى الجديد» وفى المسرح اضطلع شارلز جلين بدور البطولة فى مسرحية «الامبراطور جونز» وقام بول روبنسون بالدور الاول فى مسرحية «جميع ملائكة الله لها اجنحة»!

وعندما هبت عواصف الازمة الاقتصادية فى بداية الثلاثينيات، تشرد عدة ملايين من الزنوج، وبينما كانت الحكومة تغدق على العاطلين البيض تركت العاطلين السود فى اسوأ حال!

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية وتغير كل شىء، ولاول مرة صار هناك قباطنة من السود فى سلاح البحرية، وتطوعت اربعة آلاف سيدة زنجية فى الجيش النسائى، وكذلك تطوعت الألوف من الفتيات فى فرق الترفية عن الجنود! واشترك بوجه عام اكثر من نصف مليون زنجى فى الخدمة العسكرية فيما وراء البحار!

وفى خلال سنوات الحرب العالمية الاخيرة انضم اكثر من مليون زنجى الى الوظائف المدنية، وفى خلال اربع سنوات حقق الزنوج مكاسب اضعاف اضعاف ما حققوه خلال المائة عام الماضية! وما ان حل منتصف القرن العشرين حتى كان الزنوج الامريكيون قد حققوا مكاسب عديدة ولاول مرة فى تاريخ الزنوج، كان عدد الزنوج الذين

يعيشون في المدن، اكثر من عدد المقيمين في الريف، واصبح هناك مليون زنجي على الاقل... اعضاء في النقابات العمالية! كما كان هناك ألوف من الخريجين الذين منحوا درجات صفوف القوات المسلحة، ومنح الزنجي حق الانتخابات والترشيح ايضا لعضوية المجالس النيابية.

ولكن هل صحيح انتهت التفرقة العنصرية داخل امريكا اليوم؟ صحيح ان الرجل الزنجي صار مواطنا امريكيا من الدرجة الاولى؟ الجواب بنعم بالنسبة للقوانين المكتوبة والسلوك الرسمي. ولكن الجواب بلا بالنسبة لما يدور بين الكواليس وفي الخفاء ومن وراء ظهر القانون الامريكي! وقد يتقدم اليوم مائة زنجي لوظيفة ورجل ابيض واحد، ولكن الاختيار سيقع على الرجل الابيض، وسيقال لك انه اثبت في الامتحان الشفوي انه الوحيد الصالح للوظيفة! والغالبية العظمى من نزلاء السجون من المواطنين السود، ليس لانهم مجرمون بطبعهم ولكن لان جميع الابواب سدت في وجوههم، فلم يعد هناك الا باب الجريمة! وجميع الاعمال المنحطة يقوم بها السود الآن، والصياع والمتشردون والمتسولون والغالبية العظمى من البغايا والعاهرات كلهم من الزنوج، والعالم السفلي كله يحكمه سود، وتجارة المخدرات وحبوب الهلوسة يسيطر عليها السود، وجميع الالعاب الرياضية للمحترفين يتحكم فيها السود، والشارع الامريكي هو شارع الرجل الاسود، ولذلك يخاف الرجل الابيض من الشارع ويحذر الاخرين من عواقب السير فيه، ولكن تجربة العبد لله اثبتت انها خرافة، وان الخوف هو في داخل الرجل الابيض، وان السود بشر كالآخرين

بشرط ألا تبدو متعجرفا ولا تنظر اليهم من طرف العين، ولا تصافحهم باطراف الاصابع. انا زرت حى هارلم مثلا، وجلست مع السود فى حاناتهم، وعندما عرفوا اننى افريقى من مصر انهالت الدعوات على العبد لله، وسلام مربع للافريقى الغلبان، ودعيت الى العشاء مع اسرة زنجية فى حى السود فى مدينة «سنسناتى» فى اوهايو، ودعتنى بنت سوداء الى العشاء فى الحى الصينى فى نيويورك، وسهرت الليل معها اجوب شوارع نيويورك ولم يتعرض لنا انسان بسوء!

لقد نهض الرجل الاسود اخيرا لينتقم من سنوات الذل والجوع، واصبح الرجل الابيض اسير خوفه، ولذلك يهرع الى منزله بعد العاشرة ويغلق على نفسه الباب خوفا من شبح السود. ترافق البنت البيضاء كما القشطة رجلا اسود وتسير معه فى الشارع بعد منتصف الليل، بينما الرجال البيض لا يستطيعون الاستمتاع بالبنت السمراء الا فى الخفاء! وان جهروا بالعلاقة تعرضوا لضرب المطاوى والموت بالرصاص! لقد شهدت امريكا اليوم نوعا من التمييز العنصرى، ولكنه يختلف عن التمييز العنصرى الذى كان معروفا ايام زمان، فالرجل الاسود اليوم يستطيع التجول فى المدينة دون خوف، والدخول فى اى مكان دون عوائق، بينما الرجل الابيض وضع حول نفسه سورا لا يتعداه، وهو يخاف العراك كما يخاف المنافسة فى المجالات التى يسيطر عليها السود.

واذا سار الرجل الابيض فى الطريق العام بعد العاشرة مساء راح يتلفت خلفه، بينما الاسود ينام على الرصيف ويحلم احلام الملوك! ولكن اعظم حركة الآن بين السود هى حركة السود المسلمين! وهم

اكبر خطر على اللوبي اليهودي في الولايات ، واكبر بعبع يخيف اليهود. وفي امكان هؤلاء ان يكونوا سندا للعرب، وان يكونوا طليعة للفلسطينيين داخل الولايات، وهم لا يحتاجون الا للدعم المادي، ومهما بلغ حجم الاموال التي ستنفق عليهم فالمردود سيكون بالقطع اكبر من ذلك بكثير، ذلك خير على الاقل من انفاق الاموال على موائد القمار، وفي افراح ولا افراح الامير خماورية كما روت الصحف عن زفاف شيخ عربي ثري تكلف عشرة ملايين جنيه وكانت فضيحة للعرب في لندن!! وهؤلاء المسلمون السود يشتد عودهم الآن في نيويورك نفسها، معقل الصهيونية واليهود، ويشاهدون بكثرة على نواصي الشوارع ويجمعون التبرعات ويبيعون العطور من اجل دعم حركتهم ودفعها الى الامام، وكان هناك ثلاثة ابطال عالميين في الملاكمة من المسلمين، إمامهم هو محمد علي والثاني هو سعد محمد، والثالث اسمه مصطفى ولا اعرف اسمه الاخير، وهناك مراكز اسلامية للسود المسلمين في فيلادلفيا وبنسلفانيا وجورجيا وشيكاغو وديترويت كما ان هناك مساجد انشئت في عدة ولايات خاصة بالمسلمين السود. العيب الوحيد في الحركة ان هناك اكثر من طائفة، وهناك نذير بأن تنشب بين الطوائف حرب ولا حرب البسوس. وعلى الازهر ان يوفد رجاله الى هناك لينسق بين الحركات الاسلامية، فليس اكسب لقضية العرب من انتظام كل هذه الطوائف في طابور واحد، ولو حدث وقام جيش المسلمين السود الواحد في الولايات المتحدة، فسيكون ذلك اليوم هو بداية النهاية بالنسبة للنفوذ اليهودي في بلاد القمر الصناعي والصواريخ!

ان قصة السود في امريكا اسود من وجوههم، ومسيرتهم اصعب من دخول الجمل في خرم الابرة، وحكايتهم تحتاج الى موال ولا موال ادهم الشرقاوي، ومأساتهم في حاجة الى شاعرة كالخنساء لتبكي عليهم! ولكنهم بالصبر والصمود واحتمال المعاناة استطاعوا ان يقهروا الصعب، وان يقلبوا الاية، وان يصبحوا ملوك الشارع الامريكي، وان ينعموا بالليل في بلاد العم سام، بينما يختفي البيض وراء المتاريس والابواب! ويكفي ان ثمانين بالمائة من ابطال امريكا في الرياضة من السود، ويكفي ان عشرين في المائة من ابطال الجيش الامريكي من الزنوج، واخيرا.. يكفي السود ان سبعين في المائة من الفتيات البيض يحلمن بفارس اسود! وتسعين في المائة من الشبان السود يفوزون بقلوب بيضاء، بينما واحد فقط في المائة من الشباب البيض يفوزون بقلب اسود!! انها امريكا التي بدأت حمراء ثم بيضاء وانتهت سوداء من غير سوء، ويوما ما في الخمسين عاما القادمة سيصبح رئيس الولايات المتحدة رجلا اسود، ويستطيع العالم حينئذ ان يتنفس الصعداء، وتكون نبوءة الشارع الزنجي قد تحققت «انه ملاك اسود طويل القامة يسير مختالا في الشارع الذهبي، بينما الشارع الابيض ينام في الظلام»!!

٧ عبادة الدولار!

هل تذكرون الأب جونز، الاب المجنون الذى استدرج اتباعه الى جزيرة نائية فى الكاريبى واقنعهم بأن تناول السم والموت جماعة هو اقصر طريق الى الجنة، كان الرجل يؤمن بدين غريب، فالحياة قصيرة، والآخرة ممتدة، وعلى الفرد ان يؤمن بأن الاخرة خير من الدنيا، وليس امام الانسان ليبرهن على انه يفضل الآخرة على الدنيا، الا بالذهاب الى الآخرة طواعية واختيارا والانتحار هو خير دليل وهو أفضل برهان، وطوبى للذين ينتحرون، لان ملكوت الله لا يتسع الا لمن يموتون بأيديهم!

ومذهب الأب جونزليس هو المذهب الوحيد الغريب فى امريكا، هناك مائة دين والف مذهب وعشرون الف طريقة، وهناك جماعات تعبد الشمس، واخرى تسجد للقمر، وثالثة تقدس الهرم، وجماعة الهرم هؤلاء يؤمنون بأن هرم خوفو هو مركز الكون، وانك لو زحزحت الهرم من مكانه لاختل نظام الارض، وربما انطلق الكوكب الذى نعيش عليه فى الفضاء ليصطدم بالشمس، وربما ضل طريقه وراح يسبح الى يوم القيامة فى فضاء بلا نهاية!

ولذلك فهم يذهبون كل عام الى الهرم الاكبر ليؤدوا طقوسهم هناك، يسألون رب الهرم ان يبقى الهرم مكانه، وان يحافظ عليه فى نفس المكان وبنفس المواصفات، واحيانا يستبد الوجد بأحدهم، فيصعد الى القمة ويلقى بنفسه سعيدا ليحظى بالميتة المثالية، ويفوز بالنهاية السعيدة، ويموت وقد تناثرت اشلاؤه على احجار الهرم! جنون.. ربما، بلاهة... يجوز، نكاء... ممكن، ولكنها الحقيقة، ولذلك فهى مؤلمة!
فى اول لحظة للعبد لله فى الارض الامريكية، ومن مطاردلاس فى واشنطن الى قلب العاصمة، رأيت محطة بنزين فى كنيسة، انكرت ما رأيت، وسألت محدثى هل هذا ممكن؟ اجابنى بأن فى مقدور اى مخلوق ان يستأجر كنيسة قديمة، وفى استطاعته ان يستخدمها فى اى شىء! يفتح فيها محلا للبقالة، يقيم ملهى ليليا على انقاضها، يحولها الى مرقص، وهناك مئات من الكنائس فى امريكا لقيت هذا المصير، ولكن ما حدث لهذه الكنيسة بالذات - كما قال مرافقى - هو الوضع الصحيح والسليم، لأن البترول هو الاله الجديد فى امريكا؟!

وفى كلورادو جماعة دينية صغيرة، عدد اعضائها هم عدد اعضاء الاتباع الذين احاطوا بالسيد المسيح، وكل فرد فى الجماعة يتسمى باسم واحد من الحواريين، فهناك متى وبولس ويوحنا، وبطرس وبرنابا ويهوذا ايضا، وهم يختارون المسيح من بينهم مرة كل شهر عن طريق الاقتراع، وهم يجتمعون ويؤدون الشعائر والطقوس فى كهف يمتد غائرا فى بطن احد الجبال المحيطة بمدينة دنفر! وهم اثناء اجتماعاتهم يرتدون الثياب ويأكلون نفس الطعام ويستخدمون نفس الادوات التى كان يستخدمها السيد المسيح واتباعه، وهم يقولون ان

السيد المسيح كان يؤمن بان القيامة ستقوم بعد ستة اشهر، وكان قوله صحيحا، ولكن الخطأ الوحيد الذى ارتكبه المفسرون، هو انهم توقعوا القيامة بحساب اهل الارض، ولكن المسيح كان يحسب بحساب السماء، ويوم عند الله بألف سنة عند اهل الارض، ولذلك فالقيامة ستقوم كما تنبأ المسيح بعد موته بمائة وثمانين الف عام! ولاحظ الصلة بين ما يعتقدون وما جاء فى القرآن الكريم: «ويوم عند ربك بألف سنة مما تعدون»! هل قرأوا القرآن؟ هل تأثروا بما جاء فيه؟ لا احد يعرف سر هذه الجماعة، ولا احد يستطيع ان يفتى فى امرهم لانهم بلا كتب منشورة، ولا اقوال مأثورة، كما انهم اشد صمتا من الجبل الذى يدخلون فيه!

وفى ولاية أريزونا جماعة دينية يتزايد عددها يوما بعد يوم، وللجماعة وسيط هو راعى الجماعة وشيخها، واتباع مذهبهم يذهبون الى الصحراء ويقيمون فيها شهورا، ويؤدون صلاة على الرمل يسألون الله ان ينزل الامطار، وهو يأكلون الاعشاب ويشربون مياه الآبار، وهم يحرمون أكل الاطعمة المحفوظة، واللحوم المثلجة، وهم يصلون والنار مشتعلة، ويتعمدون فى مياه النهر، وتدخين الغليون حلال ولكن تدخين السجائر حرام! وهم يعتقدون فى حياة اخرى بعد الموت، ويؤمنون بان الفردوس فى السماء حيث الاشجار والمياه والصيد الوفير!

وهذه الديانة مأخوذة بتصرف من ديانات الهنود الحمر، ولعل هذا هو السبب الذى من اجله يبدو «وسيط» الجماعة يرتدى خلال الاجتماعات الدينية تاجا من الريش!

وما اكثر العبادات والديانات في امريكا، والسبب ان الحرية الشخصية مكفولة، ومن حق كل فرد فى المجتمع ان يختار حكومته عند الاقتراع، وايضا من حقه ان يختار آلهه، بشرط الا يفرض عقيدته على احد، أو يجبر احدا على ان يعبد آلهه! وفى الآونة الاخيرة انتشرت البوذية والهندوكية بين الامريكيين، وظهرت جمعيات تطالب الحكومة بالسماح لها باقامة معابد لعبادة الشمس، واخرى لعبادة الثعبان، ولكن اغربها جميعا هى الجمعية التى لجأت الى القضاء تطلب السماح لها باقامة معبد لدين الآله أمون فرعون مصر القديم، باعتبارها أول ديانة دعت الى توحيد الله، ولا تزال القضية مرفوعة امام محكمة مدينة سكرامنتو عاصمة ولاية كالفورنيا، وقال لى واحد من الذين اطلعوا على ملف القضية وعرف شيئا من اسرار الجماعة، انهم يقيمون فى البرارى بعيدا علي هيئة هرم مدرج يشبه هرم الملك زوسر فى سقارة، وهناك حقيقة ثابتة وهى ان المكسيك صنعت مثل هذه الاهرامات وبكثرة فى فترة لاحقة على فترة حكم الملك زوسر الفرعون!

ومنذ عام على وجه التقريب لجأت احدى الاسر فى ولاية ميتشجان الى الشرطة تطلب التدخل لدى الجيران لوقف الازعاج المستمر الذى يسببه هؤلاء الجيران، ويمنعون النوم عن اعين الناس فى الحى كله، وذهبت الشرطة وعاينت الامور على الطبيعة، واكتشفت ان هؤلاء الجيران المزعجين دأبوا خلال الاشهر السابقة للشكوى على اقامة حفلات تشبه حفلات الزار فى بلادنا، حيث تدق الطبول والدفوف، وينطلق بخور له رائحة نفاثة، وتتصاعد اصوات همهمة

وغمغمة وكأنها صادرة من عوالم مجهولة، وتدخلت الشرطة حينئذ واجرت تحقيقا بالفعل لتكتشف حقيقة اغرب من الخيال، فهذه الحفلات ليست حفلات زار ولا هي حفلات للترفيه، ولكنها حفلات دينية لجماعة تعبد بطن المرأة، باعتبار انه المصنع الوحيد الذي يخلق الحياة، ففيه تتكون الخلية الاولى للطفل، وفيه يشب ويترعرع، وخلال تسعة أشهر يصبح كائنا حيا يسمع ويرى ويصرخ ايضا، ولذلك ـ في شريعة الجماعة ـ ينبغي تقديسها والتوجه لها وعبادتها ايضا، وقدمت الجماعة للمحاكمة لا لأنها تعتنق هذه الملة الغريبة، ولكن لأنها تسببت في ازعاج الجيران وهو الامر الذي لا يغتفر!!

٨ المسلمون السود

ولكن أعظم الحركات الدينية التى تخالف الجو العام فى امريكا، هى حركة المسلمين السود، وهى سموها كذلك لأن الذين دخلوا فى دين الله افواجا كانوا فى البداية من الزنوج، ولكن الحركة تطورت بعد ذلك فأصبح هناك ألوف من البيض يعتنقون الاسلام، وهناك عدد اخر من الهنود الحمر وحوالى عشرة اشخاص ينتمون الى جنس الاسكيمو، والاسلام هناك يتقدم ببطء ولكن باصرار، وهو يكسب كل يوم اصدقاء جددا ولم يفقد واحدا من اتباعه قط، وهناك مراكز اسلامية نشأت بالجهود الذاتية فى بنسلفانيا وأوهايو وكاليفورنيا وعدد آخر من الولايات هنا وهناك ولو مجموعة من الدعاة المسلمين العرب تفرغوا لهذه المهمة لدفعوا هذه الحركة مسافات طويلة الى الامام! لان الانقسامات داخل الحركة كثيرة، والخلافات شديدة، وينبغى التدخل لحصرها الآن قبل ان يفوت الآوان! والسبب فى هذه الانقسامات ان الذين دعوا الى الاسلام فى بداية الامر كانوا من بلاد آسيا، من بينهم من يعتنق القاديانية، ومنهم من ينتمى الى جماعة البهرة، وفيهم من يعتنق المذهب الاسماعيلى، وهذه الجماعات فى

امريكا صغيرة ولا تشكل خطرا فى الوقت الحاضر، ولكنها قد تشكل خطرا فى قادم الاعوام! ولكن الذى يطمئن ان الاسلام الحقيقى الصحيح هو الموجة الغالبة داخل الحركة الاسلامية فى امريكا، ولكن الجهود المبذولة حتى الآن فى هذا المجال جهود فردية، بمعنى ان هناك تبرعات من رجال اعمال مسلمين، وهناك مساعدات من دول عربية واخرى اسلامية ولكنى اقترح الآن انشاء هيئة اسلامية عربية عليا تشترك فيها كل الدول العربية، تكون مهمتها التبشير بالاسلام ونشره والدعوة اليه فى جميع انحاء العالم مع التركيز على امريكا فى المقام الاول وافريقيا بعد ذلك، ولو قامت هيئة مثل هذه مدعومة بالمال والرجال والدعاة المخلصين ستجد ان الارض ممهدة، وهى فرصة ذهبية قد لا تعوض بعد ذلك، خصوصا بعد ان طحنت المذاهب المادية - سواء فى الشرق او فى الغرب - الانسان العادى وتركته وحيدا وضائعا ومنسحقا فى بحار من الشك والحيرة والضلال! ولذلك اخذ هؤلاء الناس يلجأون الى اى شىء يحمى نفوسهم ولو كان كذبا، ويهرعون الى اى بريق ولو كان سرابا، والسعيد الحظ منهم من اهتدى الى الطريق الصحيح... ساقتنى الصدفة الى رجل امريكى ابيض فى الخمسين من عمره، كان يقرأ فى كتيب صغير يروى احاديث النبى صلوات الله عليه، والكتاب مطبوع طبعة انيقة ومترجم بامانة، ومهدى من دولة الامارات الى المسلمين الذين لا يقرأون العربية، كان الرجل «ماك ستيفن» مبهورا بما قرأه من الاحاديث، هذا كلام رجل نطق به منذ اربعة عشر قرنا، ما اروعه من فكر وما أرجحه من عقل، هكذا قال «ماك ستيفن» الامريكى الذى ينحدر من اصول

اسكتلندية ـ استمع الى فى انبهار شديد وانا اعلق على حديثه «العقل كان راجحا والفكر كان رائعا، ولكن لا تنس الالهام، فقد كان الرجل «رسول الله» تمتم «ماك» أعلم نلك، ولكن الرسول كان رجلا قبل نلك! وراح العم «ماك» عندما عرف اننى عربى ومن مصر يسألنى اسئلة الملهوف فى امور الدين، الكارثة انهم يظنون ـ هؤلاء المسلمون الاجانب ـ ان اى عربى هو فقيه فى أمور الدين، وأقول كارثة لأن هذا الظن يفتح بابا امام النصابين وينهالون على الناس فتاوى ما انزل الله بها من سلطان كان العم «ماك» تواقا الى معرفة كل شىء عن الاسلام، لانه وهو صغير فى المدارس قرأ فصلا عن الاسلام فى كتاب مدرسى وصف الاسلام بانه ثورة التجار لفتح اسواق جديدة امام التجارة!

وقال كتاب المدرسة الامريكية أن «محمد النبى» كان تاجرا، وكان طليعة طبقته لتحقيق هذا الحلم! قلت للعم «ماك» الطيب: يدهشنى ان الامريكان يكرهون كل شىء فى الجانب الشيوعى ولكنهم فى الاسلام يقتنعون ويروجون نفس التحليل الشيوعى؟!

قال: هل هذا تحليل شيوعى للاسلام؟ لم أكن ادرك هذا من قبل! لقد اختلف الذين يؤمنون بالمسيح والذين يؤمنون بالشيطان، ودخلوا معركة ولا معارك البسوس، ولكنهم ـ وهنا العجب ـ اتفقوا ضد الاسلام وعليه سألنى فى براءة: ليه؟ قلت: هذه مسألة تاريخية وقديمة، عمرها من عمر الاسلام، وعندما ظهرت حركة الاسلام الوليدة تحالفت عليها امبراطوريتان كبيرتان، واحدة كانت تعتنق المجوسية، والاخرى كانت ترفع الصليب، وهم الذين اشعلوا الحرب فى البداية ولم تكن

دولة الاسلام قد قامت بعد، وكانت معركة معان هى الخطوة الاولى، ولولا ارادة الله لتمكنوا من الاسلام ودفنوه وهو بعد فى المهد! قلت للأخ «ماك» الطيب وقد فتح فمه دهشة، وعندما انتشر الاسلام هبت اوربا كلها ضده، وتحالفت كلها عليه، ولا يزال الغرب المسيحى يحتفل بيوم معركة «شارل» دى تور» كواحد من اعظم ايام التاريخ المسيحى ان لم يكن اعظمها على الاطلاق، لانه فى هذا اليوم انكسر القائد المسلم عبدالرحمن الغافقى، وانحسر المد الاسلامى، وحصروه فى الاندلس وحاصروه هناك حتى تمكنوا فى النهاية من طرده!

وفى العصور الوسيطة جاءت جيوش الغرب المسيحى لتهاجم الاسلام فى عقر داره، واحتلوا الساحل العربى كله من اللاذقية الى دمياط، وتوغلوا فى البلاد حتى مشارف القاهرة، وارتكبوا من الجرائم والمذابح ما يخجل منه الضمير! ولكن اغرب شيء حدث تلك الايام، ان الغربى المسيحى الذى يؤمن بالله والمسيح واليوم الآخر، تعاون بكل قناعة مع التتار الذين كانوا يعبدون الاصنام، وتعاونوا معهم على الاسلام، مع أنه دين سماوى يؤمن بالمسيحية ويحترم السيد المسيح كنبى من انبياء الله! وصمت الأخ «ماك» صمتا طويلا وعميقا، وفى النهاية قال وكأنه يوصينى: ما أحوجنا الى معرفة الكثير عن الاسلام!

وها هو الطريق مفتوح، والفرصة متاحة والرغبة موجودة، والامكانات وفيرة، فقط علينا أن نبدأ بخطة مدروسة، وبرنامج واضح وبطاقم من الدعاة المخلصين، وسنكسب فى النهاية، لان الاسلام هو دين العصر وكل عصر، شيء آخر احب ان الفت اليه الانظار فقد

ننفق ملايين الجنيهات فى سبيل الدعوة وقد نرسل ألوف الدعاة المخلصين وقد نكسب ألوف المؤمنين للاسلام، ولكن تصرف مسلم عربى واحد قد يقضى على هذه الجهود، ويصيبنا ويصيب الاسلام فى الصميم! مثلا، فى لوس انجلوس كنت ضمن مجموعة من السائحين فى جولة حول هوليود، وكان ضمن الجولة زيارة لحى الفنانين «بيفر لى هيلز» حيث تسكن جميلات الكواكب ومشاهير النجوم، كان السائق يشرح للسياح خلال مكبر صوت، واشهد انه كان متحدثا جيدا وخفيف الدم ووقحا فى بعض الأحيان، قبل ان ندخل حى الفنانين سأل عبر الميكروفون: «هل يوجد بينكم عرب؟» لم يرفع احد يده وأمسكت أنا الآخر عن رفع يدى فقد ادركت ان فى الامر سرا ما! عاد يسأل مرة اخرى، هل بينكم احد من المسلمين؟ لم يرفع احد يده وكذلك فعلت انا الآخر، وهنا قال: «عندئذ سأريكم شيئا تندهشون له غاية الدهشة وتعجبون له غاية الاعجاب» وانحرف بالسيارة الى شارع عام، وتوقف عند قصر منيف تحيط به حديقة مترامية، ويحيط بالجميع سور حديدى غاية فى الرشاقة والاناقة والاحكام، ولكن من ينظر الى القصر من أول وهلة كان يدرك ان القصر أصابه التلف الشديد، وزحف عليه الخراب، وثمة آثار نيران تركت بصماتها على جدران القصر وعلى اشجار الحديقة وعلى السور وامتد أثرها الى اشجار الطريق وقال السائق وهو يشير نحو القصر هذا قصر الشيخ (..........) ولا داعى لذكر الاسم لاننا لا نقصد التشهير، استطرد السائق قائلا: انه عربى (توقف عن الكلام وضحك) اشترى هذا القصر بمليونين من الدولارات، واضاف اليه

ديكورات بسبعة ملايين، واحدث في هذا المكان ضجة ولا ضجة الهنود الحمر لحظة بدء الهجوم وتظاهر سكان الحى ضد الرجل، وطافوا فى مسيرة بالحى لم تتوقف الا امام مبنى البلدية، وطلبوا رئيس البلدية بوقف الضجة أو طرد الساكن من الحى، ولكن الساكن لم يتوقف، وفى كل ليلة كان لديه حفلة في القصر، راقصات يحضرن بالطائرات من الشرق، واطعمة تحضرها الطائرات من مطعم مكسيم، وضيوف تنقلهم الطائرات من جميع انحاء الارض! واخيرا لم يجد الجيران بدا من التصرف، فأشعلوا النار فى القصر، وأجبروا الاسلام على الرحيل!! انتهت.

ستقولون انه سائق وقح، وانه ربما يهودى يكيد العرب والاسلام، وقد يكون هذا صحيحا كله ولكن الذى يستحق الحرق مثلا هو العربى المسلم الذى اعطى الفرصة لهذا اليهودى الجبان!

المهم، ما أسهل الوصول الى قلوب الناس بالاسلام، خصوصا فى هذا الزمان الذى حطمت المادة فيه كل شىء فى الانسان الامريكى، وسيكون الاسلام هو الراحة، التى يلجأ اليها الرجل المكدود لينعم بالسكينة والسلام، وكما قال لى كاتب امريكى ساخر.

٩ ونصفها.. للأسف!

أمريكا هي بلد الرخاء والوفرة والشبع والامتلاء، وهي ارخص بلد على ظهر الارض لانها لا تستورد شيئا من خارج الحدود الا في أضيق الحدود، وأهم وارداتها النفط مع انها منتجة للنفط، ولكن الذكاء الامريكي جعل الامريكان يحتفظون بنفطهم بينما هم يستهلكون نفط الآخرين، وعملية استيراد النفط من الآخرين عملية مربحة، لأنهم يبيعون مقابل النفط سيارات امريكية وثلاجات امريكية واسلحة امريكية وتكنولوجيا امريكية ويابخت من نفع.. واستنفع! ولكن تبقى في امريكا سلعة واحدة عزيزة وغالية الثمن، هذه السلعة هي المرأة الامريكية! وأصل الحكاية انه عندما وفد المهاجرون الأوائل على الشاطيء الامريكي كانوا - ولا مؤاخذة - من صنف القتلة والمجرمين! وكان يشترط فيمن يريد الهجرة الى امريكا ان يكون شابا وقويا وقاسيا بالدرجة الكافية وقاتلا محترفا لأن الرحلة وقتئذ لم تكن بهدف السياحة، ولكنها كانت بهدف السفاحة.. وهو المصدر الذي اشتق منه فعل سفح يسفح فهو سفاح!! لم تكن الرحلة سهلة ولا معبدة ولا ممهدة، وكانت الاخطار تكمن في كل شبر، والبلاوي تترصد

المهاجرين فى كل ركن، وكان الشعار المرفوع قاتل أو مقتول! ولذلك خلت المراكب التى حملت هؤلاء المقامرين من صنف النساء، وهكذا وجد المهاجرون انفسهم بعد ان وضعوا اقدامهم على الارض الجديدة فى نفس المجتمع الذى ألفوه.. مجتمع السجن! سجن ولكنه هذه المرة مفتوح، ولهم مطلق الحرية فى السجن الجديد بارتكاب جريمة القتل دون عقاب، بل ربما نالهم الثواب والتقدير، ولكن لم يكن معهم نساء واطفال، ولذلك ايضا حرص هؤلاء المهاجرون فى المعارك التى نشبت بينهم وبين قبائل الهنود الحمر على اختطاف النساء احياء، وكانوا يغتصبوهن بوحشية ويعبثون باجسادهن بنذالة، ثم يطلقون النار عليهن فى النهاية، ويلقون بجثثهن فى العراء! وعندما احكم القتلة قبضتهم على اجزاء شاسعة من أراضى الهنود وشعروا بشىء من الاستقرار، عندئذ جاءت المراكب وعليها بعض النسوة، ولكنهن كن من نوع واحد وتم جلبهن لغرض واحد، هو الترفيه عن «الابطال» الذين فتحوا العالم الجديد! واقيمت هنا وهناك صالونات وفنادق وبارات، كانت تقدم الغرفة مع البنت، والمشروب مع النديمة، وكان على من يريد ان يستأنس ان يدفع كثيرا، فقد كان الطلب على ودنه والعرض قليلا! ومن اجل الصراع على البنات، ربما مات من البيض أضعاف ما ماتوا فى معارك مع الهنود! فكما كان اسهل من سحب المسدس واطلاق النار اذا وجد الفارس المتعطش ان هذا هو الطريق للفوز بما يريد! وحتى خلال أيام البحث عن الذهب، كان البعض يذهب ويغيب فى باطن الارض اياما واسابيع، ينقب بين الحجارة والتراب فى عروق

الذهب المختفية هنا وهناك، فاذا عاد الى المدينة، وضع كل ما عثر عليه من المعدن النفيس تحت اقدام غانية تلطخ وجهها بكل انواع المساحيق! وعندما جاءت النساء الفاضلات بعد ذلك، كن متدينات حتى النخاع، وكان مهرهن غاليا، وكان لا يقدر عليه الا اصحاب الدخول الكبيرة، وأصحاب المسدسات السريعة! وكانت المرأة فى ذلك الزمان اذا رضيت بالرجل زوجا، فهى شريكة له فى كل ما جنت يداه، وفى كل ما يصل اليه بعد ذلك، واصبحت المرأة امبراطورة فى البيت وشريكة فى العمل، وبعبع الرجل، وشبحا يطارده فى كل مكان! ويحتفظ تاريخ امريكا بقصص حقيقية لنساء مدمرات، ولكنها قصص اغرب من الخيال، امرأة شابة فى دنفر فى ولاية كلورادو، وهى واحدة من اجمل واغنى ولايات امريكا، وتحيط بدنفر سلسلة جبال عظيمة تنساب منها شلالات عاتية، ومن هذه الشلالات تتكون عند السفوح بحيرات اعظم، وفى بطن الجبال كان يوجد يوما ما أغنى مناجم الذهب التى عرفتها امريكا، يقولون ان زوجة شابة كانت تسكن قصرا فى بنسلفانيا بوليفار حى الاثرياء فى دنفر بددت فى سبعة اعوام ارباح خمسة مناجم ذهب كان يملكها زوجها، ولم يفعل زوجها شيئا سوى انه صعد الى قمة الجبل وألقى بنفسه من هناك، وعثروا على جثته بعد ذلك فى احدى البحيرات! ويقولون ان سيدة من نيو أورليانز راهنت برأسمال زوجها كله والبالغ مليون دولار فى المراهنة علي سباق العربات التى تجرها الخيول، ولم يعرف زوجها بالامر الا بعد ان فرت من المنزل، وبعد ان اعياه البحث عنها فى كل مكان، عاد الى

منزله فى نيو اورليانز ولزم الفراش صريع الحمى عدة اسابيع، وعندما نهض من فراشه وذهب الى البنك ليسحب بعض النقود، اكتشف ان رصيده على المكشوف، وسقط الرجل امام موظف البنك مصابا بالذبحة ومات بعد ساعات!!

١٠ الأعمال بالأرداف

وفى مدينة بافالو وهى تابعة لولاية نيويورك، راهنت زوجة فى لعبة سخيفة تشبه لعبة ملك ولا كتابة، حيث يلقى المتراهنون بقطعة نقود فى الهواء ثم يراهن كل واحد على وجه منها، اقول راهنت الزوجة على قطيع جاموس كان يملكه زوجها وكانت هى شريكته بمقتضى الحق الإلهى، وكان معها تفويض من الزوج الشريك يخول لها حق التصرف والبيع وخلافه، ولقد جاءت قطعة العملة على الوجه غير المطلوب، وطار القطيع فى لحظة مع قطعة النقود الطائرة فى الهواء، ولم تتمالك الزوجة السفيهة نفسها فانتحرت، ولحق بها زوجها بعد ذلك الى الآخرة! ولكن هذه المرأة الامريكية التى تتمتع بكل هذا الهيلمان والنفوذ لم تقنع بما هى فيه، ظلت تحارب لكى توسع من دائرة نفوذها، وظلت تكسب دائما، حتى اصبحت ندا للرجل، واصبحت العصمة فى يدها، ودخلت جندية فى الجيش، وقائدة فى الاسطول، وسائقة فى السكة الحديد، وعسكرى شرطة وهى موجودة فى كل وقت وفى كل مكان ورغم كل شىء! ونهار أمه ازرق ويوم الذين أنجبوه اسود من قرن الخروب اذا اقدم امريكى على تطليق

زوجته، كل ما يملكه يذهب نصفه اليها حتى البيت الذى يسكن فيه، ولكن اذا طلبت هى الطلاق بدون اسباب الا لأنها لا تطيقه او لم تعد تستسيغه أو لأن دمه اصبح ثقيلا على قلبها، ففى ستين الف سلامة، ولأن التوازن غير موجود بين الرجل والمرأة، ارتفعت نسبة الطلاق الآن الى ستين فى المائة من مجموع الزيجات، اى انك ستصادف فى أمريكا بين كل عشرة نساء، ستا منهن مطلقات! التقيت فى كولورادو بامرأة مطلقة تعمل جرسونة فى بوفيه الفندق، وكانت سمينة ولا بقرة فريزيان، وحمراء اللون ولا بطيخة مصرى، ومقبلة على الحياة ولا فتاة فى العشرين! واكتشفت انها عريقة فى التطليق، وأنها طلقت مرتين فى المرة الاولى قالت لانها اكتشفت انها كانت صغيرة وكانت ساذجة، وفى الثانية لانها اصيبت بالضجر، فقد كان زوجها مندوبا تجاريا لاحدى شركات الادوية، وكانت وظيفته هى السفر بلا انقطاع بين الولايات لتسويق انتاج الشركة، واكتشفت انها اذا بقيت حبيسة فى جدران البيت فسيمضى العمر دون اى شعور بالسعادة، ودون اى مشاركة حقيقية فى الحب! وعندما تم الطلاق - حسب رغبتها - اخذت معها أولادها بعد ان تعهدت بكفالتهم ورعايتهم إلى نهاية العمر، ثم غادرت الولاية التى كانت تقيم بها وجاءت الى كولورادو واشترت بيتا، والحقت اولادها بالجامعة، وتفرغت هى لمهنتها كجرسونة فى النهار، ولبهجتها فى الليل! وهى بهجة تكلفها الكثير، لانها تنتقل كل ليلة من سرير الى سرير ومن احضان رجل الى احضان رجل ، وهى ترمى شباكها على هؤلاء الذين يمرون فى كولورادو وفى زيارة عابرة، والغريب اعمى ولو كان بصيرا، وامرأة جرسونة وسمينة فى ليلة غربة

خير من لا شىء! ولقد دعتنى على الغداء فى بيتها ولبيت الدعوة، واكتشفت انها تسكن فى فيللا تحيطها حديقة مزروعة بالورد ومغروسة باشجار التين والتفاح وانواع اخرى من الفاكهة، وأولادها بنت فى الجامعة وولد فى المرحلة الثانوية، وبنت تعمل فى شركة طيران اوريانت، وولد اخر هجر البيت منذ زمن بعيد ورحل بعيداً الى ولاية فى الشرق! والبنت التى فى الجامعة على علاقة بولد عربى اسمه عبيد وهى تعلق صورته فى غرفة الصالون، والبنت الموظفة تعيش مع رجل يعمل معها فى الشركة، تعيش هكذا فهى لا تؤمن بالزواج، وتعتقد ان الزواج اختراع بشرى ثبت فساده! والدليل على ذلك هو المصير الذى انتهت اليه امها، وكذلك مصير غالبية النساء اللواتى يسكن فى الجوار! واكتشفت انا ان فى الشارع الذى تقطنه الست الجرسونة اكثر من مائة امرأة مطلقة!!

وفى لوس انجلوس التقيت فى فندق هيلتون ببنت نصفها اسكيمو ونصفها امريكى للاسف، وهذا التعبير «للاسف» ليس من عندى، ولكن حقوق النطق محفوظة للبنت اياها! والبنت النص نص اشهد انها طرية كما قطعة الجاتوه، شهية كما طبق المهلبية، فاتنة كما الصباح الجديد، وهى تشتغل بالاعمال الحرة وجمالها هو رأسمالها، وشبابها هو تجارتها، وهى ليست آسفة ولا نادمة، فهى امرأة اعمال، واذا كانت الاعمال بالنيات، فهى احيانا بالارداف، وهى تكسب ١٥ ألف دولار شهريا، تدفع منها خمسة آلاف للمافيا، وهى التى تدير كل شىء فى العالم السفلى، من اول نوادى القمار الى العاهرات فى الفنادق الكبرى! البنت الاسكيمية الامريكية جربت الزواج مرة واحدة

ثم اعلنت توبتها، وليه يا بتاعة الاسكيمو، لانها لا تستطيع ان تقبع فى البيت فى انتظار رجل خرج للعمل!! ثم هى تحب الفلوس، والزواج طريق الى الفقر، وهى طموح والزواج يقتل الطموح، وهى موهوبة والزواج مقبرة للعبقرية! والبنت امها كانت من صنف الاسكيمو وابوها كان امريكيا ينحدر من اصول المانية، وعندما تزوجت اختارت رجلا من اصل هولندى، كان يثرثر كثيرا وهو جالس على مائدة العشاء، وينام وهو جالس امام التليفزيون وذات صباح نهضت من الفراش وتركته مع شخيره واحلامه وهجرت البيت وطلبت الطلاق، هكذا ببساطة وبلا مقدمات، وهكذا ايضا اقسمت برأس أمها، ان زوجها الهولندى سيكون هو زوجها الأول والأخير!

وستجد مئات وألوف من النساء يتجولن ضائعات بين الولايات، فالبنت بعد السادسة عشرة حرة تعيش مع امها اذا ارادت، تفارق اهلها اذا شاءت، تتزوج اذا رغبت، تطلب الطلاق اذا خطر لها ذلك، وعندما زاد الشيء عن حده انقلب الى ضده، واصبحت المرأة الامريكية المطلقة ارخص من السيجارة، وهى ارخص من عقب سيجارة اذا كانت قد فارقت سن الشباب، انتهى العيد الذهبى للمرأة حين كانت امبراطورة فى البيت وشريكة فى العمل، ونادرة مثل القطع الذهبية! ولم يعد للمرأة الآن الا بعض القشور، وهى للاستهلاك القومى فقط، وللزينة وللرسميات.. مثلا، لا يستطيع رئيس امريكى ان يتقدم ويطلب من الجماهير انتخابه الا اذا كانت معه امرأة متعلقة بذراعه، وهو عليه ان يربت على خدها ويمسح على شعرها امام الجماهير، وهى عليها ان تفتح فمها عن ابتسامة متفائلة، وقد يذهب

كل منهما بعد ذلك الى البيت الابيض أو البيت الاصفر، ليرفع كل منهما عقيرته بالصياح فى وجه الآخر، نفس الشىء ينطبق على المحافظين وعلى اعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وهؤلاء النواب سيجوبون دوائرهم الانتخابية مع زوجاتهم يلوحون للجماهير ويبتسمون للاطفال! وبعد الانتخابات سيهرب هؤلاء المحترمون من الشيوخ والنواب الى العاصمة تاركين زوجاتهم فى دوائرهم الانتخابية حتى موعد الانتخابات التالية!

لقد أخذت المرأة الامريكية حقوقها كاملة وهى تدفع الثمن الآن، تدفعه من أعصابها ومن وقتها، ففى وسائل المواصلات اراهنك اذا صادفت امريكيا واحدا يخلى مكانه لامرأة، ويحذرونك اذا كنت مسافرا على الطرق السريعة من خطر التوقف لنجدة رجل او امرأة، نعم او امرأة، ولو كانت وحيدة، فما الفرق بين الرجل والمرأة واذا كان هناك احتمال ان يكون الرجل من عتاة المجرمين، فالاحتمال وارد بالنسبة للمرأة ايضا، لقد اصبحت المرأة بعضلات ولها شوارب، وبعض النساء كان لهن ذقون كالمأسوف على ذقنها جولدا مائير!

ولقد حصلت المرأة فى أمريكا على حريتها، ولكنها حصلت فى الوقت نفسه على تعاستها، وشهدت امريكا فى السنوات الاخيرة أسوأ وأردأ الوان الجريمة والتعاسة والضياع من صنوف النساء، ولكن هذه رواية اخرى، وسنرويها لكم على كل حال.

١١ حضرة صاحب العصابة!

كان فى تليفزيون الولايات المتحدة فى تلك الايام برنامجا عظيما ارجو أن تبثه محطات التليفزيون تبعنا اكثر من مرة هذا خير من مسلسلات زوزو وحلقات خنجر فى الظلام، وافلام مغامرات الرجل العنكبوت!

البرنامج العظيم الذى كان يعرض فى حلقات على امتداد الولايات المتحدة يحكى قصة امريكا خلال المائة سنة الاخيرة، وهو عمل فنى يدعو الى احترام الامة الامريكية ويشير اليك نحو الطريق الذى يجب ان تسير فيه الامم لتحقق لها مكانا لائقا تحت الشمس أنا نفسى كنت اعرف مادة الحلقات، قرأتها قبل ذلك فى كتب عن امريكا، ولكن القراءة شىء وتجسيد الواقع فى عمل فنى رائع شىء آخر، ها هى امريكا بلحمها ودمها تنتصب واقفة امامك عارية تماما وصور الحياة تتراءى لناظريك منذ الربع الاخير من القرن الماضى وبيوت الخشب وحنفيات المياه المتصلة بآبار، وفرن كفرن المرحومة ستى ينفث دخانا اكثر مما ينفث نارا ولكن الكل يعمل بلا كلل، حتى النساء والاطفال العرق يتصبب من جباه الجميع فى الحقول وفى المصانع والكل

يجوعون مرة ويشبعون مرة، والجميع على باب المولى الكريم،

ويسألون الله الستر وحسن العاقبة، وكان الرعب يسيطر على الجميع، فالعصابات هى سيدة الموقف والمسدس هو القانون، واهل القرى البعيدة لا يعرفون متى يأتيهم الموت وكانت العصابات تهاجمهم بغتة احيانا مرة كل اسبوع أو مرة كل يوم أو مرة فى الصباح ومرة فى المساء، وحدث فى احيان كثيرة أن ابيدت قرى بأكملها، او تم القضاء على صنف الرجال فيها ولم يكن هناك قانون موحد لمواجهة اعمال الاجرام، بل كان الامر كله يخضع فى النهاية لشخصية القاضى، واحيانا كان يوجد قضاة اصلهم لصوص يتحدون مع العصابات ضد المواطنين، واحيانا كان من بين القضاة من هو اضعف من مواجهة عصابات شرسة ومسلحة وكان هؤلاء القضاة يعقدون الجلسات، ويجلسون وراء منصات القضاء وبعد نظر القضية والمداولة، كانوا يصدرون احكامهم بتبرئة المجرمين وكان المجنى عليهم يحمدون الله لان القاضى العادل لم يوقع الجزاء عليهم! ومع عصابات القتل والاجرام تأسست عصابات اخرى ولكن من نوع آخر قامت هنا وهناك شركات احتكارية، تمد خطوط السكك الحديدية، وتستخرج النفط، وتجمع المحاصيل، وتسيطر على قطعان الماشية، وتضع علاماتها المسجلة على ملايين الافدنة لزرع صنف معين ومطلوب! وكانت عصابات المال تستأجر وتستعين بعصابات القتل وهؤلاء كانوا يوجهون ضد الفلاحين الذى يرفضون بيع أراضيهم، أو يغالون فى ثمن الارض وبينما ظهرت اعداد لا حد لها من اصحاب الملايين بقيت طبقة عريضة من الامريكان من اصحاب الفقر، وكان

هؤلاء يتجولون فى جماعات عبر الولايات لجمع المحاصيل او زراعة الارض وكثير منهم كانوا يسقطون مرضى بالسل ويموتون فى النهاية دون ان يعنى احد بمجرد دفنهم! وعندما هبت موجة البحث عن الذهب فى ولايات الجنوب وخصوصا فى ولاية كاليفورنيا، اندفع مئات الالوف من الناس نحو الجنة الموعودة، يبحثون فى الانهار الجارية، وفى اعمال الصحراء، وفى باطن الجبال عن المعدن الذى خطف ابصار الناس وخطف عقولهم وتسبب ذلك الجنون - جنون الذهب - فى خراب امريكا فقد تركت قطعان الماشية تهيم وحدها فى البرارى! وتركت ملايين الافدنة مزروعة بأجود المحاصيل دون ان يهتم احد بحصدها ونفقت ملايين الرءوس من الضأن لانها لم تجد من يرشدها الى مجارى المياه وجفت الارض وماتت، واصبحت امريكا على شفا هاوية! ولكن ميزة الشعب الامريكى ان الضربة التى لا تقتله تزيده قوة، وان المحنة تزيده لمعانا فسرعان ما ينهض على قدميه مرة اخرى ليعاود السعى من جديد! الامريكيون هم اول من اكتشفوا النفط وكانت ملايين الاطنان من النفط تشاهد عائمة تسبح مع التيار المنحدر مع المصب، ولكن احدا منهم لم يفهم فى ذلك الوقت سر هذه الظاهرة الغريبة، وظنها البعض انها مياه قذرة من مخلفات الانسان مختلطة بالطين، وأفتى البعض الآخر ربما كانت من مخلفات بركان ثار وخمد دون ان يدرى به أحد!! ولكنهم لاحظوا بعد فترة ان النار تشتعل على سطح النهر اذا القى احدهم فيه مخلفات غليونه، المهم ان احد الامريكان راح يعبىء هذا السائل الغريب فى زجاجات ويبيعها لاهل القرى المجاورة باعتباره دواء لروماتيزم المفاصل، والاغرب من

ذلك ان الناس كانت تشعر بتحسن فى الصحة بعد فترة من استعمال هذا «العقار»!! ثم ما لبث القوم ان اكتشفوا قيمته كوقود، وهنا نشطت شركات الاحتكار، وراحت تستحوذ على اكبر كمية من الآبار وتبيع اكبر كمية من الكيروسين وكان اعظم المحتكرين هو المليونير روكفلر، عميد عائلة روكفلر الشهيرة فى تاريخ امريكا، وفى تاريخ شارع المال! وكما قامت شركات النفط قامت شركات السكة الحديد وشركات الفواكه وشركات اللحوم وشركات النسيج وشركات الاخشاب وتكونت الرأسمالية الامريكية الحديثة ولكن على طريق كان مشحونا بالعرق وأحيانا ملطخا بالدم! وفى بدايات هذا القرن العشرين تم اكتشاف اختراع السيارة ثم الطيارة وقامت شركات لهذه وتلك ودخلت امريكا فترة رخاء لم تشهد مثلها من قبل! وانتشرت حمى تشييد المدن وشق الطرق وبناء القصور الفخمة وتكونت فى الولايات المتحدة اغرب واعجب واغنى طبقة حاكمة عرفها تاريخ العالم، وسيطرت عدة عائلات على كل شىء من الحديد والصلب الى التبغ، واستخدمت لفرض نفوذها وتثبيت اقدامها كل شىء وأى شىء من الرشوة الى القتل ومدت نفوذها الى دور الصحف لتكون لسان حالها، واستأجرت العصابات لتكون ذراع حالها! وبدأ فى لحظة من اللحظات ان العالم كله لابد من ان يخضع لهذه القوة الجديدة وأن ينقاد لها!

١٢ عصر الاحتكار

ولكن، ولأن الطبيعة لها قوانين، وأحد هذه القوانين يقول: كل حركة لها رد فعل مساو لها فى القوة ومضاد لها فى الاتجاه! فلم يكن ملوك الصناعة والتجارة والتهريب والتهليب يستريحون على عروشهم حتى ظهرت فى الأفق طبقة جديدة صاعدة من أسفل وضاغطة بالحاح، كانت الطبقة العاملة فى أمريكا قد تكونت خلال عصور القحط وسنوات الشقاء ولكنها كانت مكسورة الظهر محطمة الاضلاع ثم ازدهرت مع بداية الازدهار وكان يمكن للحركة العمالية ان تنمو ببطء وان تتطور فى هدوء لولا ان رجال المال الامريكان اهتدوا الى اعجب نظام مالى فى التاريخ وبقدر ما كان النظام الجديد خيرا وبركة على رجال المال والاعمال كان شرا وبيلا على طائفة المستهلكين وطبقة العمال وكان النظام الجديد يهدف وببساطه الى تجميع وتوحيد كل الشركات ذات النوعية الواحدة فى شركة احتكارية، وكان قيام مثل هذه الشركة يمنحها امتيازات اقلها خفض النفقات وتحديد اجور العمال واهمها فرض الاسعار على النحو الذى يحقق اقصى ارباح طافت بخيال اصحاب رأس المال! وكانت شركة

«ستاندرد أويل» أول من ارتاد هذا الطريق، وفى الوقت الذى كان فيه منتجو البترول فى بنسلفانيا مشغولين حتى الآذان فى منافسة دموية ، كان ثمة شاب هادىء رزين من رجال الاعمال فى ولاية اوهايو، ينهمك فى هدوء وبدون ضجيج فى شراء معامل التكرير فى الولاية ويضمها فى شركة واحدة ومضى روكفلر منتهزا فرصة سنحت له وسيطر على معامل التكرير فى كليفلند، ثم واصل سعيه فسيطر على معامل التكرير فى نيويورك وفيلاديلفيا وبتسبرج، ثم امتدت سيطرته على خطوط الانابيب، ولم تمض عشر سنوات حتى كان روكفلر قد سيطر تماما على كل معامل التكرير وخطوط الانابيب فى الولايات وتكونت من هذا المجهود الشاق شركة «ستاندرد» وكانت اول شركة احتكارية فى التاريخ!

وبقيام شركة ستاندرد اويل انفتح الطريق امام الرجال ذوى الارادة الحديدية والطموح اللا محدود فكونوا عشرات من شركات الاحتكار فأنشأ ارمور وبعض الشركاء شركة لحوم العجول، وسيطرت جماعة جوجنهايم على مناجم النحاس فى أريزونا وأنشأت اسرة ديوك شركة للتبغ وما ان حل العام ١٩٠٤ حتى كانت بعض شركات الاحتكار تسيطر على مصالح تبلغ قيمتها ٢٠ بليون دولار بقيمتها فى ذلك الوقت وتكونت طبقة من المساهمين والمديرين فاقت سلطتها وثرواتها سلطات وثروات الامراء والملوك وأصبح المواطن ألامريكى يعيش حياته مربوطا الى امبراطورية هؤلاء القياصرة الجدد! وبفضل شركات الاحتكار توحدت خطوط السكة الحديد مما أتاح لها خدمات أفضل ولكن أكبر الضربات الناجحة فى عالم الاحتكار كانت

في مجال البنوك، وكان بيت مورجان هو اعظم هذه البيوت وأقواها على الاطلاق وفي بداية هذا القرن لم يكن هناك مشروع اقتصادى او صناعى فى الولايات المتحدة ليس لبيت مورجان علاقة به، وبلغ راسمال مورجان ٢٥ بليون دولار! مما دفع الرئيس الامريكى ويلسون الى القول بأن اعظم احتكار فى هذه البلاد هو احتكار المال!! ولكن هذا التضخم الرهيب والمخيف لشركات الاحتكار جعل الحكومة الامريكية نفسها تشعر بالخوف من هذه الشركات التى اصبحت حكومة داخل الحكومة بل ان سلطتها فاقت سلطة الحكومة واصبحت تملى عليها سياسات معينة، وتفرض رغباتها على السلطات التشريعية نفسها، وكان الخوف الذى انتاب الحكومات الامريكية قد تسرب الى نفوس الملايين من الامريكيين عندما نظروا حولهم وشاهدوا ان معظم مصادر الثروة الطبيعية والصناعات والسكك الحديدية والمنافع الاخرى كان يسيطر عليها حفنة من الرجال لمصلحتهم الخاصة وليس لمصلحة المجتمع، بدأوا يشكون فى ان الديمقراطية يمكن ان تبقى وتدوم فالنفقات الباهظة والتمييز فى العمالة واغتصاب الاراضى جملة والاساليب السيئة التى اتبعها روكفلر، وكارنيجى فى سحق المنافسين، والقوة الوحشية التى كانت تستخدمها الشركات الضخمة فى قهر العمال واخضاعهم، ومحاولات محامى تلك الشركات وهم يبحثون عن ثغرات فى التشريعات الموجودة، وتحايلهم على النظم الضريبية، كل هذا اثار موجة من الرعب فى القلوب، واشاع الاسى فى نفوس الجميع! وهبت حكومات الولايات تضع القوانين التى تحظر قيام شركات الاحتكار، وتقدم

المليونير «بيتر كوبر» للترشيح فى انتخابات رئاسة الجمهورية على اساس برنامج «العملة الورقية الخضراء» يحذر من ان الخطر الحالى على نظمنا الحرة لا يقل شأنا عما كان هناك من خطر فى بدء الثورة....!! كما اطلق صيحته المعروفة «أن ارستقراطية تقوم على اساس المال هى أسوأ انواع الارستقراطيات» ونفس الاحساس بالخطر دفع الرئيس «كليفلند» الى الصراخ عاليا: «ان الشركات الاحتكارية التى كان ينبغى ان تكون مخلوقات تخضع للقانون وتخدم الشعب، اصبحت بسرعة اسيادا للشعب، وفوق كل النظم والقوانين لتنظيم الاحوال فى البلاد وكان اخطرها قانون «أن اى ممتلكات تتصل بالمصلحة العامة أو مخصصة لمنفعة الجمهور تكون خاضعة للتنظيم بواسطة الحكومة»!!

وكان المغزى وراء هذه القوانين والدرس الذى يجب ان نتعلمه جميعا، ان التنظيم ليس ضد الديمقراطية وان تدخل الحكومة مطلوب حتى فى ظل أعظم النظم ديمقراطية وفى مجتمع هو أكثر المجتمعات حرية لان ترك الامور تسير حسب المزاج ووفق مصالح الاشخاص تنتهى حتما الى فوضى لا يعلم مداها الا الله والى ثورة قد لا تستطيع اقوى الحكومات فى العالم على مواجهتها، ليتنا تعلمنا من التجربة الامريكية ما ساعدنا على تنظيم عملية الانفتاح ولا اعتقد ان هناك انفتاحا اكثر من الانفتاح الامريكى ولا رأسمالية اعظم من رأسمالية امريكية ولا مكاسب «على وبنه» قدر المكاسب فى السوق الامريكية!! ولكن كان لابد من التنظيم ومن وضع اللوائح والضوابط والا تحولت هذه الشركات الاحتكارية الى غول يأكل الوطن حسب

تعبير احد زعماء نقابات العمال الامريكية الذى قال: «لقد حلت الشركات الاحتكارية محل العصابات وصار أخطر الخارجين على القانون هو حضرة صاحب العصابة المدير»!!

ولكن شركات الاحتكار الكبرى سواء بعد التنظيم او قبله كان لها الفضل المباشر فى خلق طبقة عمالية كبرى فى الولايات المتحدة فبدون قيام هذه الشركات لم يكن ممكنا حشد كل هؤلاء العمال فى ظل شركة واحدة وبقدر تضخم الشركات الاحتكارية كان تضخم عمالها ايضا وكانت المفارقات الضخمة سببا آخر فى تطور الحركة العمالية لقد كان العمال طرفا اساسيا فى نمو الاعمال الضخمة ولكنهم كانوا طرفا مهملا عند تقسيم الارباح وكان اغلبهم يعملون فى ظل ظروف شديدة القسوة داخل مصانع شديدة الحرارة وتتسم بالضوضاء وفساد الهواء وكانت اصابات العمل من المسائل العادية التى لا توليها الادارة أدنى اهتمام وحتى حوادث الموت بسبب العمل كانوا يدفعون مقابلها تعويضات تافهة لا تكفى مصاريف الجنازة وخارج المصانع كان العمال يتكدسون فى احياء قذرة ولم يكن للعمال ممثلون فى المجالس التشريعية الا عددا اقل من القليل، ولم يكن هذا العدد كافيا لاعلان رأى الطبقة المسحوقة او الحصول على مكاسب لها! وخلال الفترة من عام ١٨٧٠ الى عام ١٩١٠ تدفق اكثر من عشرين مليون مهاجر للبلاد، وكان كل هؤلاء فى لهفة للعمل فى المصانع والمناجم ومهما كان الاجر وتحت اى ظروف وبسبب تدفق الهجرة ازداد الهبوط فى الاجور والهبوط فى المستويات وانتهى الامر باتحاد العمال الى الشلل التام وبالرغم من تلك الظروف التعسة فقد كافح العمال ببسالة

وخلال ربع قرن كان أول الاضرابات التى قام بها هؤلاء بلغت ٣٧ الف اضراب وكان نتيجة هذا النضال المستمر حصول العمال على معظم حقوقهم فى عام ١٩٠٠ وقبيل بدء الحرب العالمية الاولى كان محظورا تماما فى كل الولايات المتحدة استخدام الاحداث فى المصانع، كما حصلت النساء العاملات على حق اجازة الحمل.

١٢ حكومة المافيا

... وإذا كان الامريكى الابيض هو فتوة العالم، وهو الذى يلقى الرعب فى قلوب اهالى الكاريبى، بنفس القدر الذى يلقى فيه الرعب فى قلوب اهالى بحر الصين، والسبب انه فتوة من نوع جديد، فهو لا يلوح فى يده بشومة تكسر الادمغة والضلوع، ولكنه يتسلح بقنابل ذرية وقنابل هيدروجينية وقنابل نظيفة تمسح صنف البشر، ولكنها تبقى على الجدران وعلى ارصفة الشوارع! ولكن حكمة الله انه فى داخل امريكا نفسها يعيش الامريكى الابيض كالفار المسلوخ، وصنف البورتوريكو هو بعبع الامريكى وعفريته الازرق، وهؤلاء العيال وارد بورتوريكو وهم ملوك امريكا بلا منازع، وهم يعملون فى احقر المهن. كخدم فى الفنادق وعمال فى البارات وحراس للمبانى وصياع فى الميناء ولكنهم فى الشوارع اصحاب جلالة وسعادة ومقام رفيع. ويكفى ظهور بورتوريكى واحد فيلزم الجميع الادب، حتى الزنوج يحسبون الف حساب للبورتوريكى الطيب، لان يده كالمطرقة وسلاحه الابيض يسبق لسانه عند المناقشة والحوار. وسيىء الحظ من يختلف مع البورتوريكيين. لأنهم يعيشون فى امريكا وكأنهم فى عصر القبائل

وعندما تنشب المعركة يتنادون للقتال وعندما يصيح احدهم وايورتوريكاه ستزحف جحافلهم من الحوارى والأزقة ومن فوق الاسطح ومن تحت الانقاض وفى بورتوريكو حركة وطنية ثورية تطالب بالاستقلال وتعمل طلائعها تحت الارض داخل الولايات المتحدة، تفجر الطائرات فى الجو، وتنسف القواعد العسكرية فى الارض، وتثير الرعب والذعر فى قلوب قادة البنتاجون. وبرغم المخابرات المركزية والمخابرات الفرعية، وبرغم العقول البشرية والعقول الالكترونية، لم تستطع السلطة القبض على احد افراده، بالرغم من ان التنظيم يعمل داخل الولايات المتحدة منذ أكثر من عشر سنوات، ويعمل فى حفظ الله وسلامته! واذا كان البورتوريكو هو البعبع رقم اثنين، ويأتى الايطالى بعد الزنجى. وهؤلاء الطليان هم اول من ادخلو الجريمة المنظمة فى امريكا، وأول من أسسوا عصابات المافيا، وفرضوا من خلالها الذعر والرعب فى كل الولايات، وجاء يوم على امريكا كانت عصابات المافيا هى الحكومة الحقيقية هى التى تتحكم فى انتخابات الرياسة، وهى التى تمهد الطريق امام السيناتور للوصول الى الكونجرس، وهى التى ترسم السياسة للوزراء، وهى التى تجلب المخدرات من خارج الولايات الى داخلها، وهى التى تسيطر على كل شىء فى البلاد وتشترى الشرطة والصحافة والنواب. ويأتى المكسيكى بعد الطليانى ويحتل الهندى الاحمر ذيل قائمة الاصناف التى يخافها الامريكى الابيض، ولكن صنف الامريكى الاحمر نادر، وبعضهم لا يزال يحمل روح التحدى ويستعد للثأر ولكن اغرب شىء اكتشفته فى امريكا هو ان العربى اليمنى هو بعبع جمير

الامـريكان فى مـدينة ديتـرويت. وهناك ستـجـد اليمنى امـامك فى كل مكان. فـى المصـانـع. فى المزارع. فى الشـوارع، وربما اسـتطاعـوا ان يدفعـوا بممثليـهم الى منصب مـحافظ الولاية والله على منظر اليـمنى وهو يتمشـى افرنجـى على ارصفة ديترويت فى المسـاء بملابس اليمن التقليدية، الملابس المزركشـة والعمامـة الملفوفة بعناية والخنجر الذى يتـوسط الحـزام. وابناء اليـمن هم انشط جـالية عـربيـة على الاطلاق. منهم العـامل الذى يطفح الدم من طلوع الشـمس الى طلوع النـجـمـة، والتـاجـر الذى يتـخـاطب بالتلكس عبـر البـحـار، ومـا اكثـر العـرب فى امريكا، ولكن ما اكثر مشـاكلهم، واعـجب شـىء ان العـرب ـ كمـا فى خارج بلادهم ـ شعوب وقبائل، ليس ليتـعارفوا، ولكن ليتقـاتلوا، ايامهم ولا يوم داحس والغـبراء، وحربهم ولا حـرب البسـوس، ولـيس اشـرس ولا اتعس من الحـــرب الدائرة بين العــرب والعــرب داخل الولايات المتحدة الشـيوعى ضـد البعثى، والبـعثى ضـد الناصـرى، والناصـرى اليسـارى ضـد الناصـرى اليمينى، والتقدمى ضـد الرجعى، والرجعى ضـد الوطنى، واعضـاء الجماعات الاسـلامـية ضـد الجميع! ولو نصف الحـرب الدائرة الآن بين بعض العرب والبعض الآخـر، لو نصفـها فقط بين صـنف العـرب وصـنف اليـهود فى امـريكا، لانجزنا اشـياء عظيـمة ولحـقـقنا نتـائج بـاهرة. ولكن اخطر من هؤلاء العـرب المغـتـربين عـرب آخرون من طراز مـختلف، هـم العرب اليائسون.

ولانهم يائسـون فـقد اعطوا ظهورهـم ليس للقـضـيـة ولكن للعـروبة نفسـها، ودفـعـهم هذا الموقف ليتـحـولوا الى امـريكان، وليس بالـجنسـية فـقط، ولكن بالمفـهوم والعـقلية والمزاج. واحـد من هؤلاء قـابلته فى مـدينة

دالاس مهنته جواهرجي ومتزوج من امريكية ويملك قصرا فخما في ضواحي المدينة ودخله لا بأس به ويتكلم عربية سليمة، ولكنه يفضل تطعيمها عند الحديث بكلمات انجليزية بطريقة امريكاني، قال الاخ الجواهرجي العربي الامريكي، قبل ان احضر الى امريكا حاولت الاستقرار في بلد عربي، ولكني قوبلت هناك احيانا بالقسوة واحيانا بالاحتقار! ولكني هنا - هكذا يقول الاخ اياه - احسست بالانتماء لهذه الارض لحظة وضعت قدمي عليها، كان الود هو اول اللقاء واخره كان الاحترام، واحد آخر يعمل سائقا لتاكسي، والتاكسي تملكه زوجته الامريكية، وهو يحقق ربحا لا بأس به، ويعيش عيشة لا بأس بها، ويكره العرب اضعاف كراهيته لليهود، واول عبارة نطق بها عند لقائنا (لو كان صباعي عربي لقطعته) ليه؟ لانه كان في بلد عربي فضاق به الحال وفاض به الكيل، فسب «ديك» أبوالحكومة. وهي عادة عند الاخ اياه كلما تنرفز سب «ديك» أي شيء وكل شيء، «ديك» اهلك ديك النهار هايدا ديك الشغلة هايدي انها نكتة اكثر منها موقف ولكن بعض حكوماتنا لا تعرف المزاح ولا تحب الهزار، ونهار أبوه ازرق، من شرطي الى مركز شرطة الى سجن تحت الارض الى محكمة سرية الى خيانة عظمى الى مصير اشبه بالموت ولا ينقذه الا انقلاب - أستغفر الله - اقصد ثورة فالحمد لله كل انقلاباتنا ثورات وكل عساكرنا ثوار، وكل احاديث زعمائنا برامج للتنمية والتعمير والانشاء!

وعندما انطلق هاربا من بلاده - بلاد العرب لجأ الى بلاد الامريكان، وهناك وجد الولد اياه نفسه وعثر على ذاته. فهو هنا يسب ديك الحكومة وديك رئيس الولايات المتحدة وديك الولايات كلها فردا

فردا والحاضر منهم يعلم الغايب ومع ذلك فلا تحقيق ولا شرطة ولا سؤال! فكل انسان على هذه الارض حر فيما يعتقد وحر فيما يقول، يسب ديك الحكومة، يسب ديك الناس فليس فى الامر جريمة ولا مخالفة ولا يحزنون

واحد آخر من هذا النوع التقيت به فى ولاية كاليفورنيا، هاجر الى امريكا لانه اضطهد فى بلاده فهو صاحب رأى مخالف لرأى السلطة، وهو عندما كان فى بلاده كان لا ينام الليل، فهو يهب مذعورا كلما توقفت امام بيته سيارة، وينتفض مذعورا كلما طرق الباب طارق، ويرتعش بدنه كلما دق جرس التليفون، وتسلل الاخ اياه هاربا ولجأ الى بلاد الامريكان، والله على امريكا وعلى حلاوتها، فهو هنا لا يخاف شيئا الا الحوادث ولا يهاب احدا الا اللصوص، ولكن الحكومة لا تخيف احدا ولا جريمة على من يعمل ضدها او يهتف بسقوطها، ولذلك هو امريكى جدا حتى النخاع، اما هؤلاء الهمج يقصد اهلنا، وأما هذه الخرابة يقصد بلادنا، فهو منهم ومنها براء!

هذه النماذج هى ظاهرة عامة بين العرب فى امريكا وبعض هذه النماذج لا امل منه ولا امل فيه، والنتيجة انهم ضاعوا الى الابد. ولكن هناك من بينهم من يقف على اهبة الاستعداد ليكون فى صفك اذا حقق العرب اى انتصار أو انجزوا اى نجاح، واذا عادت الصفوف، ولكن فى ايام الانحسار ستجدهم هكذا ينكرون كل شيء ويسبون كل شيء ويحتقرون الارض وما عليها! فى خلال حرب اكتوبر وعندما تحقق لهؤلاء ان النصر فى جانب الجيوش العربية، كان هؤلاء اول من خرج للشارع يجمع التبرعات ويعقد الندوات ويقود المظاهرات.

وعندما عادت دولة اليهود الى الغطرسة، عاد هؤلاء الى الانكفاء وتواروا فى الظل ودخلوا فى البيات الشتوى والى حين يستطيع العرب تحقيق نصر آخر! هناك نوع آخر من العرب التقيت به فى اماكن متفرقة فى الولايات المتحدة، عرب متطرفون ومضحكون كذلك. بعض هؤلاء يرى انه لاخلاص ولا أمل الا بتحقيق الاشتراكية وتوزيع الثروة وتعميم الثورة ولو ادى الامر الى اغراق الارض بالدم، ولا طريق من وجهة نظر هؤلاء الا بضرب الشواشى العليا للبرجوازية متضامنة مع الفلول الانهزامية متواكبة مع الاستيطان الانغلاقى من اجل تحقيق فائض القيمة للوصول الى المجد الشنكحورى المتهافت على الحنجورى!! وتسأله وما الحل؟ فيجيبك لا حل الا بأن يقفز تنظيمه على الحكم ويتولى امور البلاد والعباد! وأين هذا التنظيم؟ وتكتشف ان التنظيم هو هذا السيد الفاضل، اقصد «الفاضل عدة ساعات، فستكتشف انه يهدف فى النهاية الى نتيجة اقل من النتيجة التى اسفرت عنها كامب ديفيد! فالمشكلة ليست فى اسرائيل كشعب ولكنها فى اسرائيل كدولة - لأنها من وجهة نظر الاخ اياه - دولة الترجمة الحقيقية لشعار الاستعمار هو ارقى مراحل الرأسمالية، والكفاح ضد اسرائيل الدولة ينبغى ان يبدأ من اسرائيل ومن الوطن العربى ايضا، وعندما تسيطر طبقة العمال فى اسرائيل وفى الوطن العربى ايضا ستنتهى المشكلة حتما. لانه اذا كان ليس بين الخيرين حساب فليس بين الاخوة العمال مشاكل! وهذا الاخ اياه وأمثاله لا وزن لهم ولا قيمة، لان بعضهم عملاء بأجر، ومعظمهم اطفال فى مدرسة رياض الاطفال السياسية. وهؤلاء كان لهم صوت مسموع فى

الوطن العربى خلال حقبة الاربعينات ولكنهم الآن تغيروا بعد ان اكتشفوا الحقيقة واختفت القيادات اليهودية من حركتهم. ولكن الذين ينبغى ان نهتم بهم هم هؤلاء الملايين من المواطنين العرب فى الولايات المتحدة الامريكية الذين لا انتماء لهم ولا اتجاه.

هؤلاء الذين التوت السنتهم واصبحوا يتكلمون العربية بلهجة امريكية، حتى الدين نفسه، اصبح فى خطر، فهم يتزوجون من امريكيات ويتركون لابنائهم حرية الاختيار هؤلاء سنخسرهم حتما اذا لم نهتم بهم ولكن ما هو الاهتمام الذى يجب ان نحطيهم به؟ هذه قصة أخرى.

١٤ «أمريكا ياويكا»

.. وأخشى ان يفهم البعض دعوتى للاهتمام بالعرب الامريكان اننى اطالب بالاهتمام بهم سياسيا او ايفاد البعثات لتوعيتهم من اجل سلوك الطريق النضالى الاشتراكى الوحدوى المتعانق مع الفجر القادم والبزوغ الاتى تحت قيادة الزعيم المناضل او الزعيم المجاهد او القائد المقاتل او الرئيس الملهم او الرئيس البطل،،، الى اخر هذه التسميات التى شبعنا منها على مدى نصف قرن من الزمان، انا لا اقصد الاهتمام بالعرب الامريكان على هذا النحو ولكن اقصد الاهتمام بهم عن طريق تنظيمات تضمهم وتربطهم بالعروبة كجنس وبالعربية كلغة وبالاسلام كدين، وهى مسألة ضرورية للغاية وفى الدرجة الاولى من الاهمية ان يكون الاهتمام بهم على المستوى القومى، وان يكون الهدف هو خدمة قضايا العرب الرئيسية. ويمكن استخدامهم بعد ذلك كوسيلة ضغط على صانع القرار الامريكى، وحبذا لو بدأنا بانشاء مجالس عربية للمحافظة على اللسان العربى فى الاجيال القادمة. واظن انه عار وعيب ايضا ان ينشىء العرب عدة نواد ليلية وكباريهات وبارات فى واشنطن ونيويورك ولوس انجلوس ولا ينشئون مدرسة واحدة فى طول الولايات المتحدة الامريكية

وعرضها! ثم اين المساجد والمراكز الاسلامية؟ واين الدعاة والرسل يذهبون ويعودون بيننا وبينهم؟ واين الندوات والمؤتمرات؟ ليبقى الجسر موصولا بين عرب الوطن وعرب الولايات... ولقد رأيت في لوس انجلوس مثلا، حيا مصريا لحما ودما، وكأنه جزء من حي شبرا، نفس الزحام ونفس الروائح ونفس الاطفال في الشوارع، فلو قدر لك وذهبت الى هناك فستسمع في دروب الحي نفس الشتائم، وستلتقي ببائع البلح، وبائع الجوافة ودكاكين تقلي الطعمية وتدمس الفول، وستسمع اغاني عبدالوهاب وام كلثوم ومحمد طه وشفيق جلال وعبدالحليم حافظ، وفي ولاية اوهايو وجدت عربا هم نموذج اعظم على ما نستطيع تحقيقه لو أحسنا العمل واخلصنا النية وعقدنا العزم على ان نخدم العروبة والاسلام، في مدينة سنسناتي عاصمة الولاية وجدت رابطة عربية اركانها عرب امريكان، طبيب علم النفس مصري وابنته الطالبة تدرس الفلسفة في جامعة الولاية، وطبيب بشري من فلسطين، وطالب بعثة عراقي، وتاجر سوري ورجل اعمال من الامارات، وشاب ليبي، وسيدة مغربية، وزول من السودان، وهي مجموعة منسجمة ومتكاملة وتصدر مجلة شهرية بامكانات قليلة واحلام كبيرة، ولقد اعتذرت بنت الدكتور الفلسطيني (اعتذرت لاونكل سعدني) «بيكوز شي هاف توجو، اندشي هوب تومیت مي أجين» الكلمة الوحيدة التي نطقت بها بالعربي كانت السعدني! بنت الطبيب المصري وهي المشرفة على المجلة الشهيرة كانت تبكي كلما جاء ذكر مصر، فهي لم تر مصر في حياتها، والبلد العربي الوحيد التي رأته كان العراق، واندهشت عندما رأت في العراق اناسا وسيارات وعمارات وحدائق، فقد كانت تظن ان بلاد العرب صحراوات، بدو

وقوافل وجمال ومضارب شعر وقيس يغنى على ليلاه!

في مدينة «ليويزفيل» بولاية كانتاكى، التقيت بمصريين طيبين يعملون موظفين فى الصباح وتجارا بعد الظهر، وهم يتاجرون فى بضاعة خان الخليلى، عقود ومسابح وتماثيل وجعارين ويكسبون دولارات قليلة، ولكنهم عند التحويل تصبح نقودا مصرية كثيرة تعينهم على اداء الواجب نحو الاهل فى الوطن الأم! وهم سذج فى السياسة ويتصورون ان بلاد العرب تعوم على بحر من الفساد، ويخشون من التأميم والمصادرة مع انهم لا يملكون سوى بدلة واحدة، وبعضهم يرتدى «جاكتة شكل» و«بنطلون شكل» وحذاء اغلب الظن انه من وكالة البلح، وعندما تحدثت معهم عن ضرورة عمل عربى مشترك فى امريكا! اقتنع بعضهم بمنطقى وتشكك البعض الاخر ولديهم بعض الحق، حيث ان كل عربى فى امريكا مشغول بنفسه وبمصالحه ولا شيء آخر! ولكن اغرب من قابلت من العرب فى امريكا، بنت مصرية تعمل راقصة فى ناد ليلى فى سان فرانسسكو، وبنت اردنية ترقص فى نادى على بابا بلوس انجلوس، وهى اول مرة اكتشفت ان الاردنيات ينافسن المصريات فى «هز» البطن! البنت المصرية تعمل راقصة فى الملهى ليلا ومدرسة رقص شرقى فى معهد امريكى نهارا، وهى تقول انها جاءت الى امريكا بعقد كأستاذة للرقص الشرقى، فهى سفير للفن العربى فى بلاد العم سام، ثم اكتشفت وهى فى امريكا انها تستطيع ان تحقق دخلا اخر من خلال عملها فى الملاهى ليلا فلم تتردد، ولكن الشيء الذى اثار الراقصة هو ان جميع رواد الملهى من العرب، بعضهم من الخارج، وبعضهم من بلاد ترفع شعار الثورة اللى ما يغلبها غلاب وتنادى بتحقيق الاشتراكية وتحرير الوطن

من النهر الى البحر، وهى لانها تعيش فى العالم السفلى، فهى لا ترى امامها اى وميض من النور، وليس هناك اى امل، واذا كان العرب يبعثرون اموالهم فى علب الليل، فماذا تريد من راقصة ان تفعل؟ «يا خويا خلى الطابق مستور وخلينا فى حالنا» هكذا قالت الراقصة المصرية وهى تستأذن فى الانصراف... فقد دقت ساعة العمل الثورى! اما البنت الاردنية فقد كانت ترقص فى ملاهى دمشق ثم انتقلت الى ملاهى بيروت قبل ان تشتعل النار فى بيروت وتأكلها، وكان لها اكثر من تجربة مع زبائن عرب اصحاب نفوذ واصحاب قوة، وكانوا يدخلون الملهى وفى جيوبهم مسدسات، فهم مناضلون ايضا! ثم عبرت البحر الى امريكا لتكتشف ان كل عربى هنا عالم لوحده، وكل عربى جزيرة منعزلة، وبعض العرب يستأجرون الملهى كله ليلة واحدة لينعموا فيه وحدهم ومع اصدقائهم وينفقوا عشرات الألوف من الدولارات، ثم غمزت البنت الاردنية بعينها وهى تقول «هل تعرف ان صاحب الملهى يهودى واسرته لاتزال تعيش فى تل أبيب؟».

ولكن فى المقابل هناك عرب أفاضل، ولكن قلة، ويبذلون جهودا عربية صادقة وان كانت ضعيفة، اتحاد الطلبة العرب يحاول ولكن وسط غابة من المشكلات والمعوقات، وأسوأ ما فى الاتحاد ان الايديولوجيات فيه على ودنه، والنقاش داخله يجعلهم كخلية نحل ولكن برطانة لا يفهمها العربى العادى، وفى كل فترة يتغلب تيار سياسى على الآخر ويحاول ان يجرهم خلفه، بعض التيارات تحاول فرض رأيها بالعافية وبالفلوس، والخلاف الحقيقى ليس على برامج أو مبادىء ولكن وسط جلبة من المناقشات البيزنطية؟ ويبدو أنهم لم يصلوا الى حل بعد، لأن البيضة لم تنطق والفرخة لم تتكلم! وهناك

عدة روابط عربية وكل منها تكافح في طريق معاد للاخرى ومضاد لها! وهناك عرب «صيع» يبدأون الطريق دون مرشد او معين، وخطر سقوط هؤلاء في قبضة الاعداء وارد.. وحصل! وهناك قصص يتداولها العرب في الولايات، وبرغم قبح الصورة وسوء الحال، فان العزاء الوحيد هو ان حال العرب في الولايات المتحدة هو انعكاس لحال العرب في الوطن، ولو انصلح حال العرب في داخل الحدود، لانعكس الحال في الخارج، ولو زعيم قام يجمع شتات الامة ويدعو الجميع الى النهوض، ويمنحهم الأمل في عالم أفضل، لو حركة انتصار واحدة على المستوى القومي، لو خطوة شموخ واحدة في مواجهة العدو الاسرائيلي، لو لحن واحد يعزفه الجميع من الخليج الى المحيط، لو حدث شيء من هذا، لهب جميع العرب في الخارج وانتظموا في صف العروبة وزحفوا تحت لوائها، ولكن لو للاسف الشديد تفتح عمل الشيطان، وهي كلمة صغيرة ولكنها تحتاج الى معجزة لكي يصبح لها محل من الاعراب!

ولكن صبرنا على الكارثة انه حدثت معجزات كثيرة لشعوب كانت مثلنا من قبل، فهكذا كان الفيتناميون في فرنسا قبل الحرب العالمية الاخيرة، خدما في المطاعم وقوادين في البيجال وجواسيس للمكتب الثاني الفرنسي، فلما جاءهم هوشي منه، انكشف الغطاء عن المعدن الفيتنامي الحقيقي، فاذا به ذهب رنان وحديد صلب لا يلين! وهكذا ايضا كان صنف الجزائري في باريس، كان من بينهم سماسرة حي البيجال وسائقوا التاكسي في الليل وخدم فنادق ونواد وصالات قمار. فلما انطلقت رصاصات الثورة في سماء الجزائر، وهب بن بللا ورفاقه، انطلق هؤلاء الذين كانوا مجرد حثالة ليصبحوا اسودا

وابطالا، وكانوا أعظم احتياطى للثورة واقوى اجنحتها على الاطلاق، وفى أيام المد العربى فى الخمسينيات وحتى منتصف الستينيات، كان كل عربى فى أوربا وامريكا قنبلة موقوتة، وكانت اجهزة الامن فى بلاد الخواجات لاهم لها الا مراقبة العربى، حتى من ذهب الى هناك للمتعة! ذلك لان الامم عندما تخيب، تخيب بكل فصائلها، وعندما تهب، تهب بكل اجنحتها، وتسألنى ومتى يكون النهوض والنفير؟ واجيبك عندما تصبح امور العرب فى ايديهم وحدودهم مفتوحة امام اصدقائهم وبنادقهم مصوبة نحو اعدائهم وعرباتهم الملغومة تنفجر داخل بلاد الذين هزموهم وأذلوهم، عندما يكون العالم فى معمله والزارع فى حقله والادارى فى مكتبه والكاتب فى موقعه بين الناس والفدائى عند خط النار وليس فى فندق خمس نجوم، وعندما تكون الشعارات مطابقة للاعمال، والاعمال سابقة للاقوال، وعندما تكون الحكومة وكيلة عن الشعب والشعب فوق الحكومة، عندما يأمن العربى فى ارضه فلا يخاف طارق الليل ولا جاسوس النهار، عندئذ تشرق الشمس على ارض العرب ويتحقق النصر الى طال الشوق اليه، ولن نكون فى حاجة عندئذ الى رأى عام دولى ولا أمم متحدة ولا مجلس أمن نرفع اليه شكوانا، كما تفعل المطلقات والايتام وابناء السبيل!

والآن، لقد كنا فى رحلة فى بلاد العم سام، ولكن هموم الوطن شدتنا اليها، ولكن لابد لنا من وقفه نلقى فيها نظرة أخيرة على البلاد المترامية الاطراف من المحيط الى الخليج، نظرة أخيرة قبل أن نرفع قبعتنا وداعا ونرحل بعيدا عن بلاد الذهب الاصفر والذهب الاسود والتراب الذى ينافس الذهب فى البورصة وفى الاسواق!

١٥ تدريب وتهليب.. وابطال!

كل شيء في أمريكا تجارة.. الرياضة والسلاح والحب...!! المهم ان يكون معك فلوس. وان تدفع الثمن عند الاتفاق ومن حقك بعد ذلك ان تحمل التجارة وتمضي الى المكان الذى تريد! وقد تكون البضاعة دبابة أو غواصة او امرأة في طعم القشطة وفي عمر الورد، او لاعب رياضي شهير..!!

والرياضة في امريكا حق لكل مواطن كالماء والهواء واكل الذرة المسلوقة، وهي في التنس تتقدم الدول، وفي السباحة هي ست الكل، وفي العاب القوى هي اعظم من الكل، وفي الملاكمة هي الكل في الكل!!!! وهي حق من حقوق الجميع حتى المواطن في السجن وحتى الغريب اللاجيء.. وحتى الزائر عابر السبيل! وبلغت نفقات الرياضة في السجون مليار دولار في عام ١٩٨٠ وبعض ابطال الملاكمة من المحترفين هم رواد سجون وخريجو ليمانات واصحاب سوابق ليس لهم اصل ولا فصل ولا جذور!

وقصة الولد ليستون شرير الحلقة لا تزال عالقة بالاذهان كان زعيما من زعماء البلطجة ونجما من نجوم الليل، مارس النشل فترة

وقضى فترة من حياته فتوة في حي من احياء البغاء، واشتغل لصا محترفا في عصابة تهاجم المنازل والبنوك وتعلم الملاكمة في السجن، وفي اوائل الستينيات لمع نجمه، وانتزع بطولة العالم ولم يهنأ بها سوى ستة شهور وفجأة اطاح به محمد على كلاى فترك الحلقة وعاد الى الشارع من جديد.. والتحق بالعصابات من تاني ولكنه عندما عاد لم يكن ذلك اللص القديم الذى يعرفونه، عاد اكثر غرورا وأشد شراسة فقتله رجال العصابات!! وقيل انه مات من شدة السكر وقيل انه انتحر، ولكنه ذهب بسره الى قبره ولا يعلم الغيب الا علام الغيوب!

ولد آخر من ابطال الملاكمة قضى حياته كلها في السجون وتدرج فيها كأى مجرم من الملجأ الى اصلاحية الاحداث الى السجن الى الليمان الى معتقل سنج سنج الرهيب، الذى لم يخرج منه احد خلال ثلاثين عاما طويلة الا لتلبية نداء ربه الا هذا الولد (كونتى) الذى خرج من السجن لملاقاة حظه ولقد سمحوا له بالخروج لانه ابدى طاعة عمياء طول فترة سجنه وسلك سلوكا ممتازا لا غبار عليه ونبغ نبوغا عظيما في فن الملاكمة حتى طمع المشرفون على السجون ان يفوز سجين اخر بلقب بطل العالم، وقبل محمد على كلاى ان ينازل الولد السجين وخرج الولد المحظوظ الى حلبة الملاكمة ليقابل بطل العالم وابدى خلال الملاكمة قوة على التحمل ولكن حكم الحلبة اضطر لوقف المباراة بعد الجولة السابعة... فقد وقف الولد على الحلقة كالشوال يتلقى اللكمات دون ان يتحرك... فلم يكن قادرا على ان يرفع يديه ليدافع عن نفسه، ولم يكن قادرا حتى على السقوط... والرياضي في امريكا يباع ويشترى كأنه جاموسة في سوق الثلاثاء... وليس له

الرأى عند البيع او عند الشراء... هل تعرفون (اسامة خليل) نجم فريق الاسماعيلى ومنتخب مصر فى السبعينيات؟ لقد رحل الولد من القاهرة ليجرب حظه فى امريكا واشتغل الولد لعيب كرة فى احد نوادى نيويورك وأجرة قدره ثلاثة آلاف دولار فى الشهر خلاف الشقة والسيارة ومكافآت التعادل والفوز وهدايا المحبين والمشجعين... واستقر الولد فى مدينة نيويورك هانئا بما هو فيه شاكرا رب العباد على نعمائه... ومر عام وتوجه اسامة الى النادى فوجد ابوابه مغلقة وليكتشف ان صاحب النادى باع النادى بما فيه وبمن فيه... ادوات ومعدات ومدربين ولاعبين الى شركة فى كندا وان على الجميع ان ينتقلوا الى هناك! ورحل اسامة الى كندا فهكذا تقضى القوانين، فاللاعب مجرد شيء فى النادى وهو لحظة التوقيع على العقد يكون قد وافق على بيع نفسه وشخصه وليس فنه او لعبه وعلى صاحب الشغل ان يتصرف فيه وكما يشاء خلال المدة المحددة، فى كندا فوجيء اسامة بأن الشركة التي اشترت النادي قد قامت ببيع النادى مرة اخرى الى مشتر آخر فى كاليفورنيا وحمل اسامة عصاه على كاهله ورحل الى لوس انجلوس فهو بعد ان وقع العقد اصبح موظفا بدرجة جناح ايمن فى فريق الكورة ويحضر الى النادى حسب نظام صارم ويخضع لنظام دقيق وهو يتدرب فى مواعيد ثابتة، ولا تتغير ولا يقبل اى اعتذار الا فى حالات المرض الشديد، واذا حدث وتمارض اللعيب وقعوا عليه الجزاء واحالوه الى لجنة التحقيق... واذا حدث وتمادى اللعيب فى الدلع وامعن فى التزويغ فان قرارا بالفصل فى انتظاره والطرد من النادى هو مصيره المحتوم!

وباسلوب حياتنا وبالطريقة السبهللية والتوكلية التى تمضى عليها امورنا قد يقول قائل وماله الطرد او الفصل؟ سيذهب اللاعب الى ناد آخر وقد يأخذ اجرا اكبر وقد يجد ظروفا افضل وسيعاود حياته من جديد، هذا يحدث عندنا ولكن الذى يحدث فى امريكا هو العكس، نهار ابوه ازرق اللاعب الذى يطرده ناديه سيصوع ولا كلبة مسعورة وسيضرب ولا حمار فى مطلع وسيجوع ولا مؤمن فى بلد كلها خنازير.... لأن النادى الذى سيطرده سيصدر فى الوقت نفسه قرارا بوقفه عن اللعب، واذا صدر قرار بوقفه عن اللعب فليس لاى قوة فى العالم الحق فى ان تخرج عن هذا القرار واللاعب يعرف ان مصيره معلق على قرار من هذا النوع ومستقبله مرهون بموقف من هذا الطراز وعلى اللاعب ان يلتزم بقوانين النادى وتعليمات المدرب وان يحظى بعطف وحب وتشجيع ناديه، لأنه لا مهرب امامه ولا طريق للنجاة وليس هناك وسيلة للعيش الا باحترام القوانين والتفانى فى خدمة النادى والاجادة فى اللعب لكى يحظى فوق كل ذلك بتأييد الجماهير..

عندنا فى بلادنا كنت اعرف لعيبا نجما يتسكع عند خط التماس والكل يتوسل اليه لكى يشترك فى المباراة وكان النجم يدعى المرض فى البداية ثم يساوم فى النهاية ليحصل على أجر معين وكان لا يخلع ملابسه الا اذا تناول الاتعاب،،، اعرف نجما آخر كسر جميع القواعد وخرق جميع القوانين وتحدى كل النظم والاعراف واضطر اتحاد الكورة فى مصر الى وقفه عن العمل لمدة عام ولكن لم يمض شهر على هذا القرار... حتى احتاجوا اليه فجأة وفى مباراة بين مصر

وايطاليا فى كأس العالم العسكرية فى كرة القدم تمكن الفريق الايطالى من احراز هدفين فى الشوط الاول وكان يكفى مصر التعادل لتفوز بكأس العالم وبحثوا عن الكابتن اياه خلال الشوطين حتى عثروا عليه في مقهى فى عابدين يجلس مسرورا اخر هدوء وانسجام!! وسحبوه من يده الى ارض الملعب والبسوه زى الكورة وهو غائب عن الوعى لا يكاد يعلم ماذا يجرى من حوله والغريب انه اشترك فى اللعب واستطاع تسجيل هدفين وتعادلت مصر مع ايطاليا وفازت بكأس العالم واصدر اتحاد الكورة قرارا برفع الوقف عن اللاعب ويا دار ما دخلك شر!!

١٦ تجارة الرياضة

اللعب هنا على الكيف وهناك على اللائحة والعلاقة هنا بالمزاج وهناك بالقانون، واللاعب هنا هو الذى يتحكم فى النادى والنادى هناك هو الذى يتحكم فى اللاعبين ولذلك فالرياضة عندنا تسير فى خط متعرج وتسير هناك على خط مستقيم. وهنا نلعب يوما كالبرازيل ويوم كالزرازير... وهناك يلعبون بمستوى واحد ويحققون نتائج معروفة سلفا لان كل شىء هناك بالكمبيوتر والحساب وليس بالنية وحسب التساهيل... ولكن اللعيب هناك يعامل كملك وله حقوق ولا حقوق نجم السينما واجره يتيح له حياة كريمة يحرص هو على استمرارها ولذلك يحرص على الطاعة وتنفيذ الاوامر والبنود، وفى اغلب بلاد العرب يحترف اللاعب عشر سنوات وينتهى الى التسول وان ساعده الحظ وجد نفسه موظفا فى ارشيف مصلحة المجارى، او بوابا فى عمارة من عمارات الاوقاف! أعرف لاعبا (دوليا) مثل مصر فى اولمبياد طوكيو وحصلت مصر على المركز السادس وكان شهيرا وجهيرا واسمه يدوى كالطبل فى المنطقة العربية والافريقية وفى بلاد ما وراء البحار، ويسرح الآن بجردل قازوزة على المصيفين فى بلاج

بورسعيد صيفا، ويسرح بملابس مسروقة على ارصفة بورسعيد شتاء، وينام بعض الليالى فى بيته واغلب الليالى فى قسم بوليس المناخ.... كيف صاع الدولى وضاع؟! لاننا نستخدم اللعيب بأقل الاثمان ثم نرميه فى النهاية لأتفه الاسباب.

وفى فترة تألقه نحرص على حاضره ولا نهتم بمستقبله لاننا نعامله كلاعب وليس كانسان، فهو مجرد آلة عندنا ينتج اللعب فان شاخ او اصابه عطل ما ذهبنا به الى الجراج وبيعناه بابخس الاثمان! وهناك تبدو العلاقة بين اللاعب والنادى وكأنه اداة ولكن الحقيقة عكس ذلك على طول الخط، فهم يؤمنون على اللاعب بمبلغ كبير يقبضه ورثته اذا مات أو اذا اعتزل اللعب وهو مبلغ يكفيه لان يبدأ حياته وصاروا اصحاب ملايين او اصحاب عقارات، واصحاب طين، وكلهم فى بحبوحة من العيش، وكل الخير الذى لديهم من عرق اقدامهم او عرق سواعدهم نتيجة الرياضة وما قدموه للناس من فن خلال فترة التألق والشهرة والعنفوان!

فى ولاية ميتشجان الامريكية حاولت ان اجرى حديثا مع لاعب بيسبول شهير، قالوا لى انه واحد من مليونيرات الولاية المعدودين، وان ثروته تقدر بعدة مليارات، وانه لو وقع على كل الاتوجرافات التى تقدم اليه او ترسل اليه بالبريد لانفق عمره كله فى اداء هذا العمل دون ان يجد فرصة لاداء عمل اخر، واتصلت من فندقى بالسيد اللعيب المليونير وردت على الجانب الآخر سكرتيرة تغنى ولا تتكلم ولما فهمت اننى صحفى من بلاد الشرق واننى اريد اجراء حديث مع النجم المشهور امهلتنى ساعة لتأتينى بالجواب بعد ان تتصل باللاعب

الشهير وبعد ساعة بالضبط جاءني الجواب (ممكن اجراء الحديث بعد ٤٥ يوما وسيسمح لى بنصف ساعة فقط وسأدفع عشرة آلاف دولار نظير اجراء الحديث!) واعتذرت للسيدة السكرتيرة لضيق ذات الوقت وليس لضيق ذات اليد... أعوذ بالله!

وفى فيلا دلفيا اتصلت بملاكم ابيض كان يستعد وقتها لبطولة العالم لاجراء حديث معه اعتذرت السكرتيرة لانشغاله الشديد فى التدريب، قلت: اريد بعض المعلومات عن البطل اذا امكن؟ قالت: المعلومات ستكون متوافرة بعد ساعة زمان وسنرسلها الى الفندق مع مخصوص، وقالت وهى تنهى المحادثة: عليك ان تقدم اجر خمسين دولارا للسكرتيرة التى ستحمل المعلومات اليك. وقلت: آسف لان طائرتى ستغادر بعد عشر دقائق!! وكنت كاذبا فيما اقول!! قالت: إذن تستطيع ان ترسل لنا المبلغ وسنرسل لك المعلومات على العنوان الذى تريد، وشكرت الست السكرتيرة ووعدتها خيرا واقسمت الا اجرى حديثا مع اى رياضى فى امريكا على الاطلاق!!

واذا كانت الرياضة عندنا هواية فهى عندهم تجارة ومكاسب وفلوس... اغنى رياضى فى العالم امريكى وهو نجم من نجوم البيسبول ثانى اغنى رياضى العالم وهو برازيلى وهو بيليه، الثالث والرابع والخامس امريكيون وهم برضه من نجوم البيسبول. ولو فى العالم الف رياضى غنى سنجد ان تسعمائة منهم من امريكا ومائة من اوربا وأمريكا اللاتينية، اما اللعيبة تبعنا فلهم الستر والعمر الطويل .. ولكن هل تأتى الثروة من اللعب فقط؟ والجواب نعم تأتى من اللعب اولا ثم تنمو بالشهرة والاعمال والمشروعات وعقود الدعاية والاعلان..

مثلا محمد على كلاى كان يهبر عدة ملايين كل عام لقاء ظهوره فى إعلان عن الهمبورجر، ونجم التنس ماكنرو كان يلهف عدة ملايين كل عام لقاء ظهوره فى اعلان عن دنلوب، وبطل سباق السيارات الامريكى يقبض عدة ملايين كل عام لقاء ظهوره فى اعلان عن جنرال موتورز وكل امريكى شهير له حصة فى ميزانية الدعاية والاعلان، وهى ميزانية ترصدها الشركات فى امريكا وتقدر بعدة بلايين من الدولارات ، ويفوز بالنصيب الاوفر من هذه الميزانية نجوم السينما ثم نجوم الرياضة ثم نجوم السياسة الذين اعتزلوا المباحثات والمفاوضات وتفرغوا لامور الدعاية والاعلان.

وفى الوطن العربى مائتا مليون بنى آدم وربما ربع مليون شخص او اقل هم الذين يمارسون الرياضة والالعاب وفى امريكا مائتان واربعون مليون منهم اربعون مليون يمارسون الرياضة وعدد المحترفين ثلاثة ملايين بالتمام والكمال والرياضة وعدد المحترفين ثلاثة ملايين بالتمام والكمال والرياضة هناك شركات ومؤسسات وعصابات والمجال الذى يظهر فيه اثر العصابات هو الملاكمة فأغلب الملاكمين تلتقطهم العصابات من الشوارع وتدربهم على الملاكمة وتستخدمهم فى حوادث عنف واللامعون من بينهم يذهبون الى الحلقة والاغنياء منهم يحترفون الجريمة والرءوس الكبيرة فى العصابة هى التى تحرك الجميع ملاكمين ومجرمين على حد سواء ومعظم دخل الملاكمين يذهب الى رجال العصابات.

١٧ باى... باى

«الآن وقد طفنا ببلاد العم سام، مشرقها ومغربها، وعشنا مع اثريائها وصعاليكها، وتكلمنا مع مثقفيها ومغفليها، ورأينا حسناتها وسيئاتها، واكتشفنا انها ضدنا لاننا ضد انفسنا، وتمنيت على الله الكريم ان نستفيد من الحسن الذى لديهم وان نتجنب الشر الذى عندهم. فامريكا مثلها مثل اى مكان آخر. ليست خيرا خالصا ولا هى شرا خالصا، وانما فيها كل شيء وان كانت حسناتها أكثر من سيئاتها.

ونحن على أهبة الرحيل لا نملك إلى ان اقول... الله الله على أمريكا، الله عليها وع اللى حواليها.

كل شيء متوافر وكل شيء موجود وكل شيء على قفا من يشيل. انهار... ألف نهر ولا نهر الكونغو، وترع.. عشرة آلاف ترعة ولا ترعة سبك، وبحيرات.. عشرة آلاف بحيرة ولا بحيرة التمساح، واشجار على ودنه، وفاكهة من كل صنف، وحيوانات من كل شكل، وطيور على كل لون. الحيوانات من الاسود الى الضباع الى الفهود الى الديوك الرومى المتوحشة، الديك منها ولا خروف معلوف قبل العيد الكبير

بعدة شهور، والعجيب ان للديك الرومي عيدا يحتفلون به في أمريكا.
واصل الحكاية ان المهاجرين الاوائل عندما نزلوا على الشواطيء، جاء عليهم حين من الدهور كاد الجوع يقتلهم، وقد حاصرتهم المياه من كل جانب وضربتهم العواصف من كل صوب وقذفتهم السماء بحجارة من جليد، ولم يكن هناك شيء يؤكل ولا امل في ذلك فالمزروعات غطتها الثلوج والماشية نفقت من شدة الصقيع والجوع، وحتى الطيور اختفت فقد هاجرت الى مكان آمن. ووسط هذا الهول الاعظم والموت الزؤام. تطوع عشرة من المهاجرين الشبان للبحث عن طعام في اي مكان وفي كل مكان. وخرجوا يتعثرون في الثلوج ويغوصون في الاوحال، ومر عليهم نهار وليل ثم نهار آخر، وكاد اليأس يقتلهم والجوع يعمي ابصارهم ويفقدهم توازنهم، فقرروا العودة ليعلنوا للآخرين ان الارض التي جاءوا اليها ليست ارض السمن والعسل ولكنها ارض الثلوج والطين. وانها ليست ارض الميعاد ولكنها ارض الممات وفي طريق العودة والانفاس تقطعت والصدور تحشرجت والعافية راحت والامل خبا وانطفأ، ظهر فجأة قطيع من الديوك الرومي المتوحشة، واضح من منظره ان افراده شعروا بالجوع فخرجوا يبحثون عن غذاء. وتقابل القطيعان على الجوع، وتقاتلوا على من يأكل الآخر. معركة الرجال والديوك. وكانت معركة نزفت فيها الدماء وتحطمت فيها العظام وتكسرت فيها الرءوس، ولم يحسمها في النهاية الا البنادق والرصاص. عشرات الديوك، وحمل الرجال معهم الى معسكر اللاجئين مئات الديوك وكانوا قد اشرفوا على الهلاك، فأكلوا هنيئا وشربوا مريئا وعاشوا بعد ذلك على ابادة نوع آخر من

المخلوقات اسمه الهنود! ويحتفل الامريكيون كل عام بعيد الديك الوحشى. يحتفلون به وقد تغيرت الظروف وتغير الديك ايضا. فلم يعد الامريكيون يعانون الجوع، ولم يعد الديك وحشيا، فقد تكسرت اظافره وفقد حدة منقاره، واصبح كالدجاج البلدى، آخر لطافة وآخر خنوع. لقد انقرضت الديوك الوحشية من امريكا ولم يعد لها وجود الا فى الاماكن النائية، وعددها لا يتجاوز المئات! وخلا مكان الديك فى مملكة الوحوش، وان كانت المملكة لاتزال عامرة بكل انواع الوحوش... السباع والضباع والطيور الجارحة والبنى ادمين! واذا كانت امريكا بلاد الوفرة فهى ايضا بلاد التيه. فمن نيويورك الى كلورادو مسافة اربع ساعات بالطائرة الجامبو، وهى نفس المسافة من طرابلس الى الكويت، ومن كلورادو الى تكساس مسافة ساعة ونصف الساعة، وهى نفس المسافة من البحرين الى بغداد، ومن تكساس الى لوس انجلوس ساعتين ونصف كالمسافة بين القاهرة والرياض، ومن واشنطن الى سان فرانسسكو سبع ساعات ونصف الساعة، وهى نفس المسافة من أبوظبى الدار البيضاء. ومع ذلك فلا احد هناك يستوقفك ولا احد يفتشك، ولا جمارك ولا حدود ولا جوازات، بلاد الله لخلق الله. كل مواطن فيها حر. يتجول كما يشاء أو كما يستطيع، فالتذاكر غالية والمصاريف باهظة، ولكن الامريكى معه فلوس ودخله يكفيه للمعايش والتجوال. والسبب هو وحدة هذه الامة الممتدة من المحيط الاطلنطى الى المحيط الهادى، شقفه واحدة بلا تقطيع ولا انفصال، ولذلك البطيخ (المكسيكو) يغطى الولايات المتحدة كلها صيفا والعنب وارد (كاليفورنيا) يغطيها صيفا وشتاء، وكل الولايات تعطى

وتأخذ، لا رسوم ولا تعقيدات، مع ان الفروق بين الولايات اعمق من الفروق بين بلادنا، وحتى اللهجات اكثر تباينا من عندنا فالتكساسى لا يفهمه النيويوركى، والفرجينى لا يفهم الاريزونى، ونمط الحياة فى دنفر يختلف عن نمط الحياة فى بافالو، ولكن التفاهم موجود والمصلحة قائمة والبركة حلت على الجميع. وفى امريكا مائة قومية، ناس اصولها آرية وناس من الهنود الحمر، والسود جميعا من افريقيا، ولديهم قومية كبيرة من الصفر... من الصين واليابان وجنوب شرق اسيا.... وفى امريكا عرب امريكان وامريكان يهود، ولديهم اسبان يتكلمون لغتهم حتى الآن، ولديهم مائة دين، فمعابد البوذيين منتشرة، ومعابد اليهود قائمة فى كل ركن، ومآذن المسلمين مرتفعة فى السماء، والكنائس من كل صنف وعلى كل لون، مئات الاديان وألوف المذاهب ناس تعبد الشجرة وناس تعبد البقرة وناس تسجد ووجهها شطر الاهرام، وبالرغم من ذلك فهم امة واحدة.. ونحن عشرون دولة ومائة امارة ومليون اتجاه ومائة وخمسون مليون زعيم خالد، وبعد ذلك نحلم بالعودة الى الماضى ونريد ان ندخل الجنة!! ولأنها اتحدت، فقد اصبح كل امريكى حرا وكل امريكى مسئولا. والحكومة مجرد ادارة للاشراف على تنظيم الاعمال. وليست مالكة للعباد والبلاد. والرئيس الامريكى موظف يمكن فصله او طرده والاستغناء عن خدماته فى اى لحظة، وليس صاحب حق الهى فى حكم الناس، فمن خالفه منهم فهو ملعون، ومن وقف ضده فهو مطرود، ومن رفع يده احتجاجا فهو متآمر وخائن وعميل وبلا اخلاق قرية!! ولذلك فكل شىء هناك على ما يرام. ليس مائة فى المائة ولكن سبعين فى

المائة. وهذا حسن للغاية. والحكومة تحكم بواحد وخمسين في المائة وليس بتسعة وتسعين في المائة وتسعمائة وتسعة وتسعين في الألف كما هو الحال عندنا وكل متهم بريء حتى تثبت ادانته، وكل امريكى حر حتى يحكم عليه القاضي. كل امريكي محترم حتى نزيل السجن، واتمنى ان اعيش حتى ارى هذا اليوم في بلادنا، ولكن يبدو انني احتاج الى عمر سيدنا نوح لأرى تباشير هذا اليوم. ولقد حلمت بهذا اليوم وأنا اتسكع على شاطيء المحيط الهادى بين لوس انجلوس وسان فرانسيسكو. وحلمت به وأنا اهم بمغادرة قارة امريكا بعد ستة أسابيع كاملة أمضيت اغلبها في طائرات وزرت خلالها اكثر من دستة ولايات وحوالي عشرين مدينة، وزرت القرى والريف الامريكي وهو ريف غني بالمحاصيل وفقير في المنظر اذا قورن بريف انجلترا، وتمشيت افرنجي على شواطيء البحيرات، وفي امريكا عدد منها يفوق عدد البرك الناجمة عن طفح المجارى في الوطن العربي، وتفرجت على مسارح مانهاتن وعلب الليل، وشاهدت باعة المخدرات يقطعون الصنف ويضعونه في الميزان حسب طلب الزبون، هكذا علنا وأمام الناس وعلى عينك يا تاجر. بينما عسكرى الداورية الامريكي واقف على الناصية متشاغلا وكأننا في الباطنية ولسنا في نيويورك، وتفرجت على بيوت نجوم السينما في هوليود وعلى مقابرهم، وقرأت الفاتحة على روح المرحوم دالاس بيرى والمرحوم ادوارد جي روبنسون والمرحومة لانا تيرنر والمرحوم جيمس دين وشاهدت احياء الفقراء، وحارة رابعة بالجيزة احوالها احسن بالقطع وارفع مستوى من حوارى الفقراء في امريكا، ولاحظت ان التفرقة العنصرية لا مجال لها

فى حى الفقراء، فالسود الفقراء والبيض الفقراء يعيشون جنبا الى جنب فى سلام وهدوء. وفى انتظار فرج الله، ورأيت فى امريكا نصابين لا يفوقهم احد فى حرفة النصب وحرامية يسرقون فى عز الضهر، ودخلت بارات تقدم لك المشروب مقابل ثلاثة دولارات وتسمح لك بالفرجة على نسوان ترقص امام المرآة زلط ملط، وشعرت بحزن شديد وأحسست بانى جئت الى امريكا متأخرا، وكان ينبغى ان أزورها منذ ثلاثين عاما. ولقد كانت مأساتى الحقيقية خلال الزيارة اننى لم اكن قادرا على قطع الرحلة حتى النهاية واضطربت أحوالى بسبب قلة صحتى وعظيم رغبتى.

وأتمنى أن تتيح لى الظروف زيارة امريكا فى مناسبة قادمة. لكى ارى الولايات التى لم ارها، واطوف بالاماكن التى لم تقع عينى عليها.

ونصيحة واحدة للعبد لله الى كل ويكا يرغب فى السفر الى امريكا،، ان يطرد هذه الفكرة من دماغة اذا كانت شهادة ميلاده تشير الى انه قد تعدى الثلاثين، وارفع قبعتى الآن وانحنى وداعا لامريكا، وارفع قبعتى بالرغم من أننى ليس لى قبعة وليس على راسى شعر، ولكنها عقدة الخواجة التى اصابت البعض منا، فاصبحنا نتشبه بالخواجة. ومن تشبه بالخواجة يكرم.

واقول وداعا لقارة امريكا وانا استعد للطيران عائدا من حيث جئت. وهتفت من أعماقى وانا القى على امريكيا نظرة اخيرة... باى باى بلاد العم سام.... باى باى بلاد الفتونة والقرصنة والطمع والجشع، الثورة والثروة، والعافية والمافيا، باى باى بلاد الاحلام!

فهرس

صفحة

رقم الايداع ٥٨٦٠ / ٩٧
الترقيم الدولى : .I. S. B. N
977 - 08 - 0335 - 9

